الفصل الثاني

أسطورة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض

المرجعية النصية للأسطورة

أرض بلا شعب لشعب بلا أرض أسطورة صهيونية سياسية تعتمد على أسطورة دينية توراتية وهي عهد الرب " يهوه " لإبراهيم ولنسله بتملك أرض كنعان " ٧وَأُقِيمُ عَهْدِي الأَبَدِيَّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ، فَأَكُونُ إِلهاً لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ. ٨وَأَهَبُكَ أَنْتَ وَذُرِّيَّتَكَ مِنْ بَعْدِكَ جَمِيعَ أَرْضِ كَنْعَانَ، الَّتِي نَزَلْتَ فِيهَا غَرِيباً، مُلْكاً أَبَدِيّاً. وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهاً».." (التكوين : ١٧)

وقامت الصهيونية السياسية بتطبيق هذه الأسطورة الدينية بالقوة فدعت يهود الشتات المستوطنين في بلدان العالم إلى استيطان أرض فلسطين وطرد الفلسطينيين منها زاعمة أن فلسطين أرض بلا شعب ، وأن اليهود شعب بلا أرض .

تقول جولدا مائير : " لا يوجد شعب فلسطيني وكأننا نحن الذين جئنا لإخراجه من دياره والاستيلاء على بلده ، فالفلسطينيون لا وجود لهم "[1]

ويقول مناحم بيجين : " لقد وُعِدنا بهذه الأرض ، ولنا حق فيها "[2]

وقد أعلن مناحم بيجين وهو أشد الصهاينة إيمانًا بالتقاليد التوراتية : إن أرض إسرائيل الكبرى ستعود إلى شعب إسرائيل كلها وللأبد "[3]

ولا شك أن بن جوريون كان يشير إلى إبادة الرجل الأبيض للهنود الحمر والاستيلاء على أرضهم عندما قال بوضوح " إن الأمر لا يتعلق بالحفاظ على الوضع الراهن فأمامنا مهمة إنشاء دولة نشيطة وديناميةموجهة نحو التوسع "[4]

([1]) جريدة الصنداي تايمز اللندنية بتاريخ ١٥ / ٦ / ١٩٦٩ . نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية "

([2]) تصريح بيجين في أسلو لصحيفة دافار ١٢ / ١٢ / ١٩٧٨ نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية"

([3]) مناحم بيجين " العصيان ، قصة الأرجون " ص ٣٣٥ .

([4]) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ١٥٦ .

وأسطورة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض من اختراع المستعمرين الغربيين الذين أرادوا أن يتخلصوا من اليهود ومشاكلهم الاقتصادية والقومية والسياسة وفي نفس الوقت يستفيدون منهم برعاية مصالحهم في الوطن العربي فاختلقوا هذه الأسطورة العلمانية السياسية وأضفوا عليها بُعْداً دينيا توراتيا ، فزعموا اقتراب يوم القيامة ، وآن الأوان لتحقق مشيئة الرب " يهوه " بتوطين اليهود أرض الميعاد التي وُعد بها آباؤهم الغابرون ، ولا يهم أن يتم هذا على يد الماشيخ المنتظر أو على يد بلفور أو ترومان أو بوش أو غيرهم من الصهاينة الغربيين ،وفي سبيل تحقيق هذه الأسطورة لا يهم الاستيلاء على أرض الغير بالقوة وتهجير سكانها قسرا !!

وانطلاقاً من أسطورة العهد الإلهي لبني إسرائيل ودون التساؤل عن ماهية هذا العهد ، ولمن صدر وبغض النظر عن كون هذا الوعد كان مشروطا بالالتزام بوصايا الرب أم لا ، أعلن الزعماء الصهاينة ، حتى ولو كانوا لا أدريين أو ملحدين أن فلسطين قد أعطيت لنا من الرب !!

وتشير إحصائيات الحكومة الإسرائيلية أن ١٥ % من الإسرائيليين فقط هم من المتدينين . ولكن هذا لا يمنع ٩٠ % منهم التأكيد على أن هذه الأرض قد منحها لهم الرب الذي لا يؤمنون به !!

ولا تمارس الغالبية العظمى للإسرائيليين الحاليين الطقوس ولا العقيدة الدينية ، ولا تضم مختلف " الأحزاب الدينية " سوى عدد قليل جدا من المواطنين ومع ذلك تلعب دورا حاسما في دولة إسرائيل .

وشرح ناثان وينستوك هذا التناقض في كتابه " الصهيونية ضد إسرائيل " قائلا : لو ألغينا مفاهيم " الشعب المختار " و " الأرض الموعودة " لانهارت الصهيونية من أساسها . [1]

---

[1] نفسه ص ١٥٥

لقد اهتمت الحركة الصهيونية باستمرار في إنكار الشعب الفلسطيني كشعب مثلما اهتمت بالإيحاء بأن أرضه خالية من السكان ومن الزراعة لتبرر بذلك الأسطورة الأساسية التي قامت عليها " أرض بلا شعب لشعب بلا أرض " ويصل المنطق الصهيوني إلى الاستنتاج التالي : مَنْ تصادف وجوده من العرب في أرض فلسطين في هذه المرحلة فليس له إلا الانتقال إلى مكان آخر في أرض العرب الواسعة ، وأية مأساة في ذلك وأي عجب ؟!

ولا تزال الحركة الصهيونية حتى الآن ترتكز في ما ترتكز إليه في إعلامها الغربي والدولي إلى هذه النظرة لتبرير احتلال فلسطين وللدعوة إلى استمرار الهجرة اليهودية إليها . (1)

وبهذا التفسير الاستعماري المتناقض تحولت الجماعات اليهودية المنبوذة المضطهدة من الغرب العلماني إلى شعب الله المختار ، كما تحولت أرض فلسطين المأهولة بالسكان إلى أرض بلا شعب في حاجة لمن ليستوطنها ، وبالطبع وفقا لهذا التفسير فليس هناك أحق باستيطان الأرض المقدسة إلا شعبًا مقدسًا وهو الشعب اليهودي !!

وبهذا يتم استبدال يهود الغرب بالفلسطينيين العرب ، فيُشَتَّت الفلسطينيون المواطنون الأصليون من بلادهم فلسطين ، ويستوطن اليهود المواطنون الغربيون هذه البلاد ! كل هذا يتم تحت رعاية الغرب خدمة لمصالحه ، وهذا هو المشروع الصهيوني .

وفي إطار هذه الإستراتيجية الصهيونية تصبح فلسطين (الأرض المقدَّسة) بلداً بلا سكان، لأن امتلاك فلسطين ليس من حق السكان الأصليين . وليس بإمكان البشر، يهوداً كانوا أم عرباً أن يتساءلوا عن معنى هذا القرار، لأن محور مشكلة فلسطين،

(1) فيصل أبو خضرا " تاريخ المسألة الفلسطينية " ص ٣٣

وفقاً لما قاله بن جوريون، يتلخص في حق اليهود المشتتين في العودة وهو حق مطلق قائم منذ بداية التاريخ حتى نهايته .

وكما قال وايزمان " إن أساس وجودنا كله هو حقنا في إقامة وطن قومي فوق أرض إسرائيل [فلسطين] وهو حق نملكه منذ آلاف السنين، ومصدره وعد الرب لإبراهيم، وقد حملناه معنا في أنحاء العالم كله طوال حياة حافلة بالتقلبات "[1]

الفكر الإمبريالي المؤسس لدولة إسرائيل

تعتبر الأحداث التي أدَّت مباشرة إلى إنشاء دولة إسرائيل على الأراضي الفلسطينية صفحة واضحة من النضال الحاد للدول الاستعمارية من أجل إعادة تقسيم العالم ومن أجل مناطق النفوذ وتعزيز المواقف في الشرق الأوسط والأدنى ، وسار هذا النضال بين الدوائر الاستعمارية في إنجلترا والرأسمالية في الولايات المتحدة الأمريكية .

إن مشكلة الاستعمار الصهيوني لفلسطين إنما تطرح بنفس المصطلحات التي تعرفها مشكِلات المستعمرين الآخرين جميعًا، فالاستعمار يري أن أية أرض تعتبر (خالية) ما دامت غير مسكونة من البيض الغربيين، وقد عبر عن هذا المعنى ببراءة وقحة أحد الصهيونيين الأمريكيين فقال :

" أنا أعلم أن الأمريكي كان دائماً موضِع نقد لأنه إستغل واحتل تكساس وكاليفورنيا إبان حرب المكسيك، التِي توصف بأنها عمل عدواني، ولكِني أسأل نفسِي: ما قِيمة نقد كهذا حِين يكون البدِيل أن يحرم مجموع الجنوب الغربي من طيبات الحضارة الأمريكية ؟ عِندما توجِد أرض "خالِية" بالقوة اِفتراضا فإن العالم

(1) موسوعة " اليهود واليهودية والصهيونية " م ٦ / ج ٢ " الاعتذاريات الصهيونية العنصرية ونظرية الحقوق اليهودية المطلقة " مرجع سابق .

يدعو إلى خلاصها، وفلسطين المقفِرة كانت بالضبط تكساس مصغرة، ومنطق التاريخ يتطلب أن تُملأ هذه (المساحات الخاوية) لأن الطبيعة يرعبها الخواء " (١)

ولقد كان هذا من قبل هو الشِعار الذِي رفعه زنجويل عام ١٩٠٤م (أن تعطي أرضًا بلا شعب لشعب بلا أرض) (وقد كان تِعداد سكان فلسطين آنذاك أكثر من ستمائة ألف من السكان العرب، مع كثافة سكانية مماثلة لكثافة الشقق الفرنسية المتوسطة).

هذا هو موقِف الأمريكيين تجاه الهنود، وموقِف البيض في أفريقيا الجنوبية تجاه السود، وموقف الصهيونيين تجاه العرب، وكلهم يرون أن فلسطين أرضًا (خالية).

وقد كتبت السيدة جولدا مائير فِي أول سطر من رسالتها ذات المغزى فِي ٢٤ من أغسطس ١٩٢١م تقول : " إن الإنجليز لم يختاروا العرب لاستعمار فلسطين، بل اختارونا نحن " (٢)

كيف صدر وعد بلفور

في نهاية الحرب العالمية الأولى في ٢ / ١١ / ١٩١٧ تقدمت إنجلترا بتصريح حول نشأة " وطن قومي لليهود " في فلسطين ، ويعتبر تصريح بلفور نتيجة للمحادثات التي جرت على مدار عام كامل بين القادة الصهيونيين والدوائر البريطانية الحاكمة ، ووفقا لاعتراف الدبلوماسيين الإنجليز الرسميين ، فإن تصريح بلفور قد أملته بالدرجة الأولى أهداف سياسة بريطانية الحربية وبالذات لإضعاف العدو وشد أرز الحلفاء .

ففي أثناء الحرب العالمية الأولى نظرًا لارتباط مصالح بريطانيا بمصالح الحركة الصهيونية ، فإن بريطانيا قررت أن ترعى المشروع الصهيوني الرامي إلى إنشاء

(1) برنارد روزنبلات " الجسر الأمريكي إِلَى الكومنولث الإسرائيلي " صِ ١٢٣ نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .
(2) مَارِّيّ سركين " جولدا مائير" ص ٦٣. نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

وطن قومي لليهود في فلسطين يعمل في خدمة الأهداف الاستعمارية للدولة التي تساعد في إنشائه ، ومن هنا صدر الأمر البريطاني المعروف بتصريح بلفور في صورة خطاب موجه إلى اللورد روتشيلد رئيس الطائفة اليهودية في بريطانيا في ٢ نوفمبر ١٩١٧ كما يلي :

" عزيزي اللورد روتشيلد .. أعبر لكم عن بالغ سروري إذ أنقل إليكم باسم حكومة صاحِب الجلالة التصريح التالي بالعطف على الأماني اليهودية الصهيونية ، وهو التصريح الذي عُرض على مجلس الوزراء ونال موافقته .

إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، وستبذل أقصى مساعيها لتيسير تحقيق هذا الهدف ، على أن يكون مفهوما أن شيئا لن يُعْمل قد يكون من شأنه المساس بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطَّوائف الحالية غير اليهودية في فلسطين ، ولا بالحقوق ولا بالوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في أي بلد آخر .

أكون ممتناً إذا أحطتم المنظمات الصهيونية علماً بهذا التصريح " .

المخلص .. آرثر جيمس بلفور

ومن الطريف أن نص وعد بلفور كتبه " وايزمان " رئيس المنظمة الصهيونية بخط يده ولم يضف بلفور شيئاً على النص إلا توقيعه فقط كما جاء في مذكرات وايزمان .

ويجدر بنا أن نحلل ذلك التصريح الذي يعتبر من الأمور الرئيسة التي أدت إلى قيام إسرائيل في عام ١٩٤٨ .

١- نَصَّ التصريح على تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين ، ومن ثم ليس كل فلسطين يصبح وطناً قوميًا للصهيونيين .

٢- لم يُشر نص التصريح إلى عرب فلسطين بل صراحة يكاد يغفل وجودهم اللهم إلا عندما تحدث النص عن (طوائف غير يهودية) ومن ثَّم كان الإنجليز يُضْمرون منذ البداية استبعاد حقيقة قائمة حينذاك وهي (عرب فلسطين) و(عروبتها).

مع أن تعداد فلسطين في عام ١٩١٨ كان على النحو التالي : ٦٤٤ ألف نسمة من العرب ، ٥٦ ألف نسمة من اليهود (أغلبهم من العرب) أي حوالي ٨ % من تعداد السكان .

٣- أن بريطانيا منحت إقليمًا لا تملكه إلى طائفة لا تملكه دون استشارة أهل وأصحاب البلاد الذين كانوا يشكلون الأغلبية المطلقة لسكانه ، بل وعاملت بريطانيا العرب – بمقتضى النص – على اعتبار أنهم مجرد طائفة ما . (١)

٤- تشترط اتفاقية لاهاي الرابعة في مقدمتها عن حق الحرب " أن يظل سكان الأراضي المحتلة تحت حماية قواعد القانون الدولي " ولما كان الخطاب مرسل إلى شخصية خاصة هي اللورد روتشيلد، وهو مواطن بريطاني، كيما يبلغه إلى منظمة دولِية لم تكن في ذلِك الوقت شخصًا من أشخاص القانون الدولي فإن الوعد من ناحية القانون الدولي لا قيمة له .

٥- إن إعلان بلفور متعارض أساسًا مع ميثاق (عصبة الأمم) الذِي ينص في المادة (٢٠) : " على أن أعضاء العصبة يعترفون، كل فيما يخصه، بأن الميثاق الحالِي يلغي أي التزامات أو اتفاقات لا تتفق مع نصوصه، وهم يتعهدون علنًا ألا يتعاقدوا على مثلها في المستقبل، وإذا كان عضو ما قبل انضمامه إلى العصبة قد تحمل اِلتِزامات لا تتوافق مع نصوص الميثاق فيجب أن يتخذ الإجراءات العاجِلة لِلتخلص مِن هذه الالتزامات " .

وقد قدم الكاتب آرثر كوستلر دون شك أفضل تعريف بهذا الخطاب حين قال :

" إنه وثيقة تَعد فِيها قومية قومية أخرى رسميا بأرض قومية ثالثة، مع أن القومية التي بُذِل لها الوعد لم تكن قومية حقا بل كانت جماعة دينية، والأرض عندما وُعد بها كانت تابعة لقومية رابعة، هي تركيا " (١)

(1) د. عطية القوصي ، د. عبد العزيز نوار ، و د. عاصم الدسوقي وغيرهم " الحضارة الإسلامية وتاريخ العرب الحديث " وزارة التربية والتعليم المصرية مطابع روز اليوسف ص ٢٢٢ .

وقد كان المقصود بإعلان بلفور أن يستبق ألمانيا والنمسا في التأثير على يهود الإمبراطوريات الوسطى وروسيا؛ لأن الحلفاء كانوا بحاجة إلى روسيا وإلى اليهود فِي وقت واحد .

ثم إن الزعماء الإنجليز لم يدعوا أدنى شك حول المغزى الحقيقي لإعلان بلفور، كتب ونستون تشرشل يقول: " إن إعلان بلفور لا ينبغِي أن يعتبر وعدًا مبذولاً لأسباب عاطفية، لقد كان إجراءً عمليا اتخذ لمصلحة القضية المشتركة، حينما كانت خدمة هذه القضية لا يمكن أن تتجاهل أي عامل لدعمها ماديًّا ومعنويًّا " (٢)

ولم يتوقف دور بلفور في دعم الصهيونية على تصريحه الشهير بل استمر في دعم الصهيونية عدة سنوات ففي يونيه عام ١٩٢٢، ألقى خطاباً في مجلس اللوردات البريطاني يحث فيه بريطانيا على قبول فرض الانتداب على فلسطين، وتقدَّم بمسودة قرار الانتداب لعصبة الأمم، كما شارك في افتتاح الجامعة العبرية عام ١٩٢٥ وقد بيَّن بلفور تصوُّره لمستقبل فلسطين في إحدى المذكرات حيث قال : إن الصهيونية ، سواء أكانت على حق أم كانت على باطل ، خيِّرة كانت أم شريرة ، فإنها ذات جذور متأصلة في "تعاليم قديمة وحاجات حالية وآمال مستقبلية" (غربية) . ولذا، فإن أهميتها " تفوق رغبات وميول السبعمائة ألف عربي " قاطني هذه الأرض . وقد أكد بلفور في مذكرة أخرى أن الحلفاء لم يكن في نيتهم قط استشارة سكان فلسطين العرب .

وانطلاقاً من إدراك الأهمية الجغرافية / السياسية لفلسطين، طلب بلفور أن تكون فلسطين متاحة لأكبر عدد من المهاجرين (الذين رفض بلفور من قبل دخولهم إنجلترا) وأن تُوسَّع حدودها لتشمل الأراضي الواقعة شرقي نهر الأردن . (3)

---

(1) آرثر كوستلر: تحلِيل معجِزة . نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

(2) ستيفن دايز وجاكوب دى هاز " المخادع الكبِير " ص ٢٨٨ نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

(3) د. عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية م٦ ج١ الباب الثالث : الوعود البلفورية . مرجع سابق .

وبعد انتهاء الحرب توالت المذكرات العربية والصهيونية على المسئولين من دول الحلفاء ، وعلى مؤتمر الصلح ، فقد طالب الشريف حسين بن علي (شريف مكة) - الذي ساعد إنجلترا في هزيمة العثمانيين وإجلائهم عن المشرق العربي نظير وعد من انجلترا باستقلال العرب إذا انتصرت في الحرب - إنجلترا بأن تنجز وعدها معه . بينما طالبت الحركة الصهيونية بالاعتراف بالحق التاريخي لليهود في فلسطين ، وحقهم في إقامة وطن قومي لهم هناك على النحو التالي :

١- وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني .

٢- العمل على تطبيق تصريح بلفور .

٣- إقامة مجلس تمثيلي ليهود فلسطين .

فاتفقت فرنسا وانجلترا على أن تكون فلسطين تحت الانتداب الإنجليزي ، وأن تلتزم الحكومة البريطانية بتنفيذ تصريح بلفور دون إشارة إلى العرب صراحة مع أنهم يشكلون أغلبية سكان فلسطين ، وبذلك تكون عصبة الأمم المتحدة التي أقرت نظام الانتداب قد تخلت عن واحد من أهم أهدافها ألا وهو مساعدة الشعوب على أن تحكم نفسها بنفسها ، وسارت في طريق إبادة عرب فلسطين وتهويدها . (١)

سياسة الانتداب البريطاني في فلسطين

إن " الانتداب البريطاني" مهما كانت الأعراض الطارئة التي أحدثها تَلَهُّف الصهيونيين للتعجيل بمجرى الأحداث ـ يتصف باتجاه حدَّده منذ عام ١٩٢١ السير هيوبرت يانج أحد مديري وزارة المستعمرات بقوله: "إن المشكلة التي يتعيَّن علينا أن نَحُلَّها هي أننا نستَهْدِف إيجاد تكتيك، وليس إستراتيجية، والفكرة الإستراتيجية العامة التي أتخيَّلها هي التهجير التدريجي لليهود إلى فلسطين، إلى أن نُؤَمِّن لهم أغلبية

(1) د. عطية القوصي ، د. عبد العزيز نوار ، د. عاصم الدسوقي وغيرهم " الحضارة الإسلامية وتاريخ العرب الحديث " مرجع سابق ص ٢٢٣

ساحقة في البلاد... بيد أنه من المشكوك فيه أن نكون بحيث نعترف للعرب بما تَعْنِيه سياستنا في الواقع " (١)

عندما اجتمعت عصبة الأمم عام ١٩٢٢ قررت يوم ٢٤ / ٧ / ١٩٢٢ وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني ، دون استشارة الشعب الفلسطيني مخالفة بذلك المادة ٢٢ من عهد عصبة الأمم التي تنص على أنه " يجب أن يكون لرغبات هذه الشعوب المقام الأول في اختيار الدولة المنتدبة " ، كما تقضي المادة ٢٢ أيضًا " وضع رفاهية الشعب الفلسطيني ومصالحه نصب عين الدولة التي يتم اختيارها بواسطة ذلك الشعب لتقوم بأمانة الانتداب " وهذا ما لم تقم به بريطانيا بل عمدت بعد الانتداب على الاعتراف بالوكالة اليهودية (عام ١٩٢٩) ووافقت على نقل مقرها إلى القدس ثم ألفت إدارة مدنية حلت محل الإدارة العسكريَّة وعينت يهوديًّا كأول مندوب سامي لها في فلسطين ، وشجعت بريطانيا الهجرة الصهيونية بصورة شرعية وغير شرعية فارتفعت نسبة السكان اليهود في فلسطين .

وعندما عارض الجنرال السير لويس بلوس المندوب السامي البريطاني في فلسطين السياسة الصهيونية في فلسطين عُزل في يوليو ١٩٢٠ واستُبدل به السير هربرت صمويل، الصهيوني الدولي، الذي كتب عنه زعيم التنظيم الصهيوني العالمي حاييم وايزمان عام ١٩٢١ قائلاً :

" كنت المسئول الأول عن تَعْيين السير صمويل فِي فلسطين، فهو صديقنا، وقد قبِلَ هذه المهمَّة الصَّعبة بناءً على طلبنا، فهو صمويلنا " (2)

شكَّل هربت صمويل إدارة عليا ذات طابع صهيوني وصدرت القوانين التي تنقل الأراضي المملوكة للدولة إلى اليهود ، والقوانين التي تُسَهِّل انتقال الأراضي بالشراء

(١) رجاء جارودي " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق ، مدخل . فلسطين ما هي ؟
(2) ذكره ج. ب. آلم في كتابه: يهود وعرب ص ١٢٦ نقلا عن كتاب " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " الباب الثاني ، الفصل الثالث : أسباب نجاح الصهيونية السياسية .

أو بالتنازل من أيدي العرب إلى اليهود ، وكانت رءوس الأموال الصهيونية مستعدة لتغطية طلبات أي بائع حتى ولو كانت الأسعار مرتفعة ، فالمهم الاستحواذ على الأرض . (١)

كيف زاد عدد اليهود في فلسطين واتسعت أملاكهم ؟

فور تولي هربت صمويل الحكم في فلسطين تسارع نمو الاستيطان اليهودي الصهيوني فيها بشدة بوساطة الحماية البريطانية، لقد كانت فلسطين عام ١٩١٨ بلدًا عربيًّا شبيهًا بكل البلاد العربية الأخرى، وكانت نسبة اليهود فيه لا تتعدى ٨ % ارتفعت هذه النسبة في إحْصاء نوفمبر عام ١٩٣١لتصل إلى ١٧% ثم إلى (٣١%) عام ١٩٤٨ .

أما فِيما يخصُّ الأرض، ففي عام ١٩١٨ كان السكان اليهود يملكون ٢% من الأرض، وفي نهاية الحماية البريطانية تضاعفت هذه المساحة إلى ثلاثة أضعاف، فكانت المِلكيَّة غير القابلة للتَّصَرُّف للشعب اليهودي قد وصلت إلى ٦% وتقع في أجود الأراضي وأفضلها رَيًّا .

وكانت مِيزانِية الحماية البريطانية من حظ الصهيونية، فخلال الحماية انتقل الوطن من ٨٠,٠٠٠ ألفًا من السكان عام ١٩٢٢ إلى ٦٤٠,٠٠٠ ألفًا عام ١٩٤٨ وكانت الحركة الصهيونية مالكة لمدنها ، وأراضيها ، وصناعتها ، وجيشها . (٢)

ثورات الفلسطينيين ضد الاحتلال الصهيوإنجليزي

ونظرًا للسياسة البريطانية الظالمة الداعمة للصهيونية والمُفَرِّطة في حقوق الفلسطينيين العرب فإن العرب قاموا بثورات ضِدَّ الاحتلال المزدوج، الصهيوني

(1)د. عطية القوصي ، د. عبد العزيز نوار ، د. عاصم الدسوقي وغيرهم " الحضارة الإسلامية وتاريخ العرب الحديث " مرجع سابق ص ٢٢٣ .

(2) لمزيد من التفاصيل حول الإحصاءات الخاصة بتلك الفترة راجع " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق، الفصل الثالث .

والإنجليزي، في إبريل عام ١٩٢٠ وفِي مايو ١٩٢٠ وفِي أغسطس ١٩٢٩ ثم كانت ثورتي : ١٩٣٦ ، ١٩٣٩ م .

وكانت ثورة ١٩٢٩ فِي مبدأها (حرب فلاحِين) فلاحين بلا أرض طردتهم الوكالة الصهيونية حِين اشترت الأرض من الملاك الكبار أصحاب الملكية العقارية، وهم في أغلب الأحيان يقيمون بالخارج . فبين عامى : ١٩٢٢ و١٩٢٩ مثلاً كان أكثر من ٩٨% من الأرض المَبيعة لجماعات من كبار الملاك، مهم ٩٦% غير مقيمين بفلسطين .

ويعترف المؤرخون الأكاديميون اليهود أنه لم يكن هناك أي عداء بين العرب واليهود قبل افتضاح المخطط الصهيوني الرامي إلى طرد الفلسطينيين من أرضهم وتوطين يهود العالم مكانهم بل على العكس تمامًا فقد نَعِمَ اليهود بالعيش في ظل الحكم الإسلامي نعيمًا لم يروا مثله على مدى تاريخهم كله .

يقول المؤرخون اليهود : " ومن المثير أن الصهاينة الأوائل كانوا ينظرون بعين الرضى إلى الثقافة العربية، وإلى المعاملة الحيادية بعامة التي تلقاها اليهود تحت الحكم الإسلامي . ولقد اتجهت أنظار الصهاينة نحو الثقافة العربية والدين الإسلامي كحضارة مثالية يمكن أن تتسامح في وجود وطن أو دولة يهودية داخلها، وذلك جزئيًّا، كرد على العنف الفظيع الذي كان يهود أوروبا الشرقية يعانون منه على يد جيرانهم المسيحيين .

لكن الصراع ، والعنف الذي وقع في النهاية بين اليهود والعرب في فلسطين تحت الانتداب البريطاني وضع حدًا لهذه النظرة ، ولقد ساهم هذا الصراع العسير الذي أنزل الكارثة على اليهود والعرب في الشرق الأوسط منذ ذلك الوقت في المواقف السلبية في كلا الجانبين " (١)

(1)الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ٦٩

ويلاحظ تجاهل اليهود الأسباب الحقيقية التي ولَّـــدَت الصراع والعنف بين الفلسطينيين والصهيونيين وهي اغتصاب الصهيونيين للأراضي الفلسطينية وطرد أهلها منها .

يحلل كرستوفر سايكس كيف نشأت المشكلة فيقول : " إن مشكِلة الأرض فِي فلسطين إنما تنشأ أسَاسًا مِن بيع مساحات شاسعة من الأرض بوساطة ملاك مُتَغَيِّبِين مُوَكِّلِين إلى أفراد وإلى نقابات صهيونية ، وهناك شَـــرْطٌ مُعْتَـــاد في هذه البيوع هو طرد شاغليها .

أما التعساء الذين عاشوا غالبًا على هذه الأرض خلال أجيال عديدة فإنهم يرون أنفسهم مطرودين من أرضهم ومحرومين دون تَعْويض عن وسيلتهم الوحيدة للبقاءِ. إن المستأجرين المطرودين وهم الضحايا الحقيقيون للهجرة اليهودية هم جَوْهَر المشكلة الفلسطينية " (1)

هؤلاءِ الفلاحون العرب ، بلا أرض، ولم يتح لهم العمل لدى المُلاك الجدد الصهيونيين، لأن ميثاق المؤسسة القومية اليهودية كان يحرم تشغيل العرب في أملاك الصهيونيين .

فميثاق الوكالة اليهودية الذي صُودِقَ عليه في ١٤ من أغسطس عام ١٩٢٩ في زيورخ يقرر أنه " في جميع الأعمال والمشروعات التي تنفذها الوكالة اليهودية يجب الالتزام بالمبدأ الأساسيَّ، وهو اِستخدام عمال يهود " .

بل إن منطق هذه السياسة الصهيونية ذاته، والمُتَمَثِّل في إبْعَاد العرب عن فلسطين هو الذي أدى إلى ثَوْرَات جدِيدة للفلسطينيين خلال الأعوام من ١٩٣٦ إلى ١٩٣٩

وهكذا كان موقف المحتل الإنجليزي واضحًا إلى جانِب انْتشار الصهيونية .

---

(1) (كريستوفر سايكس (Order wingate) لندن ١٩٥٩ صِ ١٠٦). نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

ويعترف مؤرخو الدولة الصهيونية بالدور الإنجليزي الفاعل لإقامة دولة يهودية في فلسطين " خلال العقود الثلاثة للانتداب البريطاني، اتسع نطاق الزراعة، وأنشئت مصانع صغيرة، وتم شق طرق جديدة في مختلف أنحاء البلاد. واستغلت مياه نهر الأردن لإنتاج الطاقة الكهربائية، كما استغلت الطاقات المعدنية الكامنة في البحر الميت. " [1]

وعندما بدأ هتلر ونظام حكمه النازي في اضطهاد اليهود ، أخذت جموع اليهود تتدفق على فلسطين الجهة المفضلة لدى اليهود الألمان ، خاصة أن الحكومة الإنجليزية والوكالة اليهودية كانت تمد يد المساعدة بكل كثافة إلى المهاجرين لكي يستقروا في فلسطين .

هجرات اليهود إلى فلسطين

وإليك ثَبْتاً بهجرات اليهود إلى فلسطين لبيان المؤامرة الصهيونية على الشعب الفلسطيني وأرضه :

١ - الهجرة الأولى ، استمرت خلال الفترة من عام (١٨٨٢ - ١٩٠٣) وضمت عدداً يصل من ٢٠ ـ ٣٠ ألف مهاجر يهودي .

٢ – الهجرة الثانية امتدت من عام (١٩٠٤ - ١٩١٤) تقريباً وضمت عدداً يتراوح بين (٣٥ - ٤٠) ألفاً من اليهود .

٣- الهجرة الثالثة التي امتدت من عام (١٩١٩ - ١٩٢٣) وضمت حوالي ٣٥ ألف يهودي .

٤- الهجرة الرابعة امتدت من عام (١٩٢٤ - ١٩٣١) وضمت حوالي ٨٢ ألف يهودي .

([1]) نقلا عن موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية على الإنترنت .

٥- الهجرة الخامسة : واستغرقت السنوات من (١٩٣٢- ١٩٤٤) وضمت حوالي ٢٦٥ ألف يهودي ، وهو أعلى رقم بلغته أفواج المهاجرين إبان الانتداب.

وقد استمرت الهجرة بعد ذلك، ووصل إلى فلسطين ١٩٢ ألف مهاجر، وجاء بعد الحرب العالمية مجموعة من ١٦١ ألفاً معظمهم «مهاجرون غير شرعيين».

ويمكن القول بأن عدد اليهود في فلسطين عام ١٩٤٨ قد بلغ ٦٤٩,٦٢٣ يهوديًّا . وبلغ عدد اليهود الذين هاجروا بعد إنشاء الدولة حتى عام ١٩٥١ حوالي ٦٨٧ ألف . ومنذ عام ١٩٦٩ بدأ تدفُّق جديد للمهاجرين اليهود . (١)

عندما أصبحت أمريكا الراعي الرسمي للمشروع الصهيوني

أثبتت شركات البترول الأمريكية العاملة فيه أن منطقة الخليج العربي تعوم على بحيرة من البترول ، وأن من يسيطر على الشرق الأوسط يستطيع أن يسيطر على العالم لذا قررت أن تنزع المشروع الصهيوني من إنجلترا وأن تتولى الإشراف عليه مزايدة على إنجلترا في مساعدة الصهيونية فطالبت بفتح أبواب فلسطين لهجرة اليهود إليها دون قيد ، تمهيدًا لإنشاء دولة يهودية لا وطنا لليهود كما نص تصريح بلفور .

مؤتمر بلتيمور

التقت المصالح الأمريكية مع مطامع الصهيونية ، وفي مايو عام ١٩٤٢ عُقِدَ اجتماع فِي فندق بلتيمور، فِي نيويورك ضم الصهاينة الأمريكيون والأوربيون في نيويورك مع ممثلي المستوطنين في فلسطين كما حضره " هاري ترومان " نائب الرئيس الأمريكي حينئذ ، والرئيس الأمريكي ابتداءً من عام ١٩٤٥م إلى ١٩٥٣ وتمخَّض الاجتماع عن برنامج سُمِي برنامج بلتيمور جاء فيه ما يلي :

١- إنشاء قوة دولة يهودية .

(1) راجع " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " د. عبد الوهاب المسيري م ٧ ج٢ الباب الثالث " التهجير " . مرجع سابق .

٢- تشكيل قوة عسكرية تحارب تحت علمها الخاص تأكيدا بأن الشعب اليهودي له قوميته ، وله علمه ، وله الحق في الالتحاق بهيئة الأمم المزمع إقامتها بعد إنتاء الحرب .

٣- فتح أبواب فلسطين للهجرة المطلقة إليها بلا قيد .

٤- منح الوكالة اليهودية حقوقا إدارية وتنظيمية داخل فلسطين تمهيدا لاستلام اليهود أمور الحكم والإدارة في فلسطين .

٥- إلغاء الكتاب الأبيض سنة ١٩٣٩ . (١)

وبهذا المؤتمر تخلت الصهيونية عن خطابها المراوغ وكشفت عن حقيقة مخططها في صراحة وجرأة بعدما اطمأنت أن الولايات المتحدة الأمريكية زعيمة العالم الجديد لا تدعم المشروع الصهيوني فحسب بل إنها أصبحت الراعي الرسمي له .

وكما يقول " ألان تايلور " أحد مؤرخي الحركة الصهيونية: "وهكذا ظهر على السطح الآن وضوح الهدف الخفي الذي رافق الصهيونية دوماً". ولم يجانب هذا المؤرخ الصواب ولا حاول أن يفرض تفسيراً متعسفاً على الأحداث أو الكلمات. فقد وصف المجتمعون في فندق بلتيمور في مدينة نيويورك برنامج بلفور بأنه "تطبيق كامل لبرنامج بازل". وكل ما حدث هو أن بعض الفراغات قد مُلئت، وبعض العبارات الصامتة قد استُنطقت، وبعض العبارات الهلامية قد تحدَّدت (ومع هذا استمر التزام الصمت تجاه مصير السكان الأصليين). وقد ظل برنامج بازل ساري المفعول (مع تفسير بلتيمور) إلى أن تم تعديله بعد إنشاء الدولة . (2)

وقد صُودِقَ على (برنامج بلتيمور) فِي ٢٢ من مايو ١٩٤٥ من الوكالة اليهودية، ثم قدم إلى إنجلترا على أنهُ كلِمة نهائية تحدد للمرة الأولى صراحة الأهداف التالِية

(1)د. عطية القوصي ، د. عبد العزيز نوار ، د. عاصم الدسوقي وغيرهم " الحضارة الإسلامية وتاريخ العرب الحديث " ص ٢٢٧ .

(2) د. عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م٦ ج١ الباب السادس الخطاب الصهيوني المراوغ . مرجع سابق .

ـ لا وطن قومي في فلسطين، بل دولة يهودية فِي كل فلسطين، بجيشِها الخاص بها.

ـ هجرة غير محدودة تهيمن عليها الوكالة اليهودية وحدها .

ـ سوف تخصص التعويضات الألمانية لبناء الدولة الصهيونية .

إن هذا تحول حقيقي في الصهيونية، يمكِن إدراكه على النحو التالِي :

أولاً : فمنذ مؤتمر بال عام ١٨٩٧ م وإعلان بلفور عام ١٩١٧م لم يكن معلنا سوي مسألة (وطن قومي يهودي) فِي فلسطين، أما مسألة (دولة مسيطرة على كل فلسطين) فقد كان الزعماء الصهاينة يفكرون فِيها دائِما، ولكنهم لم يتحدثوا عنها أبدًا (على الأقل رسميًّا).

والهجرة اللا محدودة تحت هيمنة الوكالة اليهودية وحدها ـ كانت تعني إجازة عطلة لإنجلترا، لقد حاولت حقا أن تفي بوعودها في إعلان بلفور، ومن خلال الحماية، وهي ترتب فِي ظروف معينة حقوق (السكان غير اليهود) لقد صَدْر الكتاب الأبيض لمكدونالد عام ١٩٣٩ باطلا، وصارت إنجلترا في الغرب أثقل التضحيات، وخرجت منها مستنزفة الدم، مدنها رماد وإمبراطوريتها مقوَّضة، ومن ثم اِختار الزعماء الصهاينة فِي بلتيمور حاميًا لهم، أكثر قوة (الولايات المتحدة) التِي كانت لها منذ ذلك الحين الهيمنة على العالم الغربي كله.

وأخيراً، فإن طلبهم ألا تُدفَعَ التعويضَات الألمانية للضحايا اليهود، حيث ينبغي أن تكون، بل إلى دولة إسرائيل، يعني أن الصهيونية هي الممثل الوحيد لليهود في العالم، في حين أنهم لم يكونوا حتى ذلك الحين سوي أقلية ضعيفة.

لقد أثار مُنْعَطف بلتيمور الذي سجل اِنطِلاق سيطرة الصهيونية السياسِية، الأكثر قومِية، على جمِيع التنظيمات اليهودية الأخرى فِي العالِم، بما فِي ذلِك الصهيونية الدينية العالمية ـ أثار هذا المنعطِف بعض الاحتِجاج . (١)

(1) رجاء جارودي " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " الباب الثاني الفصل الثالث " أسباب نجاح الصهيونية السياسية " . مرجع سابق .

في عام ١٩٣٨م كان ألبرت أينشتين قد أدان هذا الاتجاه ، وكتب : " في رأيي ربما كان أكثر معقولية أن نصل إلى اتفاق مع العرب على أساس حياة مُشْتَرَكَة سليمة، من أن ننشئ دولة يهودية. إن شعوري بالطبيعة الجوهرية لليهودية يصطدم بفكرة دولة يهودية ذات حدود وجيش ومشروع سلطة زمنية، وإني لأخشى الخسائر الداخلية التي سوف تتعرض لها اليهودية بسبب من تطورها فِي طبقتنا إلى قومِية ضيقة، فنحن لم نعد يهود مرحلة المكابيين ، ولئن عدنا قومِية بالمعنى السياسِي لِلكلِمةِ ، فذلِك يَعْدِل أن نَحِيْد عن رَوحَنةِ مجتمعنا التِي ندين بها لعبقرية أنبيائنا " (1)

وصرح مارتن بوبر فِي نيويورك بأن " الرواد (اليهود) جاءوا إلى فلسطين لأنهم لم يجِدوا في أي مكان سواها معنى لحياتهم أو كمالا، فلم يكن يعنِيهم أن يقيموا دولة سياسية، بل كانوا يريدون أن يبنوا مجتمعًا إنسانيًّا جماعيًّا، لم يكن شيء ما جاهزا في علاقاتنا مع العرب، ولكن كان هناك بصفة عامة حسن جوار بين قرية يهودية وقرية عربية.

هذه المرحلة العضوية من الاستِقرار فِي فلسطين استغرقت حتى عهد هتلر، وجاء هتلر فدفع بجموع من اليهود إلى فلسطين، لم يكونوا صفوة من الناس، جاءوا يقضون حياتهم ويعدون للمستقبل، وهكذا أعقبت النمو العضوي المنتقى هجرة جموع دفعتها الضرورة إلى البحث عن قوة سياسية توفر لها الأمان. وقد فضلت أغلبية اليهود أن تتعلم من هتلر لا مِنَّا. وقد أوضح هتلر أن التاريخ لا يتبع طريق الروح بل طريق السلطة، وأنه عندما يكون شعب ما قويًّا فإنه يستطيع أن يقتل دون أن يناله عقاب. وتلك هي الحال التِي كان علينا أن نصارعها، فاقترحنا في جماعة " أحود " ألا يكتفي اليهود والعرب بأن يتعايشوا، بل لا بد أن يتعاونوا . فلعل هذا يجعل تنمية

(1) موشى منوحم " انهيار اليهودية فِي عصرنا صِ ٣٢٤ ". نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

الشرق الأدنى الاقتصادية أمرا ممكنا، وبذلك يكون بوسع الشرق أن يقدم لمستقبل الإنسانية إِسْهَامًا كبِيرًا وجَوْهَرِيًّا " . (1)

ومن أجل تطبيق برنامج بلتيمور قامت الوكالة اليهودية بدعاية واسعة النطاق عما اقترفه هتلر النازي من جرائم بشعة ضد يهود ألمانيا وشرق أوروبا ، وزعمت أن عدد من قتلهم النازي أو احرقهم حوالي ستة ملايين ضحية ، وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية شحنت الوكالة اليهودية عشرات الألوف من ألمانيا إلى فلسطين بشكل أزعج سلطات الانتداب البريطاني حيث إن البلاد ما كانت لتستوعب هؤلاء إلا على حساب العرب هناك .

وعندما اعترضت حكومة الانتداب على فتح أبواب فلسطين هكذا أمام الهجرة اليهودية التي بلغت مائة ألف دفعة واحدة لجأت المنظمات إلى الولايات المتحدة الأمريكية فطلبت من انجلترا وبأسلوب شديد اللهجة أن تفتح أبواب فلسطين للمهاجرين الجدد ، وما كانت انجلترا حينئذ بقادرة على معارضة الولايات المتحدة الحليفة الأقوى التي لولاها لما نزلت الهزيمة بألمانيا . (٢)

وكانت انجلترا قد حاولت أن تسيطر على الأمور في فلسطين وأن تحد من إرهاب العصابات الصهيونية ، ومن هجرات اليهود ، ومن تهويد فلسطين ، وأن تراعي الحد الأدنى لحقوق الفلسطينيين لذا أعلن اللورد موين، وزير الدولة الإنجليزي، بالقاهرة في ٩ من يونيو ١٩٤٣ م في مجلس اللوردات أن اليهود لم يكونوا أحفاد العبرانيين القدماء، وليس لهم شرعًا أن يستردوا الأرض المقدسة، وقد كان نصيرًا لتهدئة الهجرة إلى فلسطين، فاتُّهِمَ حينئذ بأنه عدو عَنِيد للاستقلال العبراني . (3)

---

(1) مارتن بوبر (جويش ينوزلتر عَدَد ٢ من يونيو ١٩٥٨) نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

(2) د. عطية القوصي ، د. عبد العزيز نوار ، د. عاصم الدسوقي وغيرهم " الحضارة الإسلامية وتاريخ العرب الحديث " مرجع سابق ص ٢٢٧

(3) إسحاق زار " إنقاذ وتحرير، نصيب أمريكا فِي مِيلاد إسرائيل " . نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

وفي ٦ من نوفمبر١٩٤٤م اغتيل اللورد موين في القاهرة على يد عضوين في مجموعة شتيرن .

وما كان لانجلترا لتسكت على تحول المشروع الصهيوني الذي رعته وأشرفت على تنفيذه بهدف تحقيق مصالح مشتركة لليهود والإنجليز معا إلى مشروع نازي هتلري يشرف عليه عصابات إجرامية لا تعرف إلا القتل والإرهاب وسيلة لتحقيق أطماعها . لذا فإنه كان على الحكومة الإنجليزية أن تتحرك لتنقذ مشروعها من أيدي هؤلاء المجرمين .

ففِي ١٧ من نوفمبر١٩٤٤م أعلن ونستون تشرشل رئيس الوزراء، فِي مجلس العموم تصريحه : " إذا كانت أحلامنا من أجل الصهيونية يجب أن تتلاشى فِي دخان مسدسات القتلة، وإذا كانت جهودنا من أجل مستقبلها قد أنتجت عصابة جدِيدة من قُطَّاع الطُّرُق الجدِيرين بالانتماء إلى ألمانيا النازية، فإن هناك كثيرين مثلي سوف يُعِيدُونَ النَّظَر فِي موقِفهم الذِي كان دائِمًا موقِفنا، وإذا كان هناك أمل في مستقبل سلمي للصهيونية فإن هذه النشاطات الملعونة يجب أن تتوقف، كما يجب أن يُحَطَّمَ أولئِك المسئولون عنها، أن يبادروا ويعدموا " .

وبدلاً من تحسين العصابات الصهيونية علاقتها مع إنجلترا شريكتهم في المشروع أرادت العصابات الصهيونية سرقة المشروع لصالحها ، ولصالح الراعي الجديد (أمريكا) وحرمان انجلترا ليس من المشروع فحسب بل من البقاء في فلسطين . ففجرت فندق داود الذي كانت تقيم فيه القيادة العسكرية للحكومة الإنجليزية .

ففي ٢٢ من يوليو عام ١٩٤٦م وقع انفجار بجناح فندق الملك داود، بالقدس، حيث كانت تقيم القيادة العامة العسكرية للحكومة الإنجليزية وقد أودى الانفِجار بحياة واحد وتسعين شخصًا بينهم ٢٨ بريطانياً . وكان هذا عملاً من أعمال مناجم بيجن قائد منظمة (الأرجون) ، الذِي أعلن مسئوليته عنه . وكشف عن منهج العصابات

الصهيونية في تلك المرحلة وهو : " بالدم والنار والدموع والدخان، وبنوع جديد مِن الإنسانية، نوع مجهول تماما لِلعالِم، منذ أكثر من ألف وثمانمائة عام (اليهودي المحارب) قبل كل شيء، يجب أن نبدأ الهجوم، سوف نهاجم القتلة، فمن الدم والعرق سوف يولد جيل فخور كريم قويّ. " (1)

وهكذا كان جزاءُ الإنجليز على مساعدتهم للصهيونية جزاءَ سنمار (2) فبعد أن مَكَّن الإنجليز للصهيونية في فلسطين لم يعد للصهيونيين حاجة إليهم ، إذ إنهم لم يعودوا بعد عمِلية السحق التِي تَمَّتْ يَخشَون غضب العرب، فلم يبق عليهم إلا أن يطردوا الإنجليز ليصبحوا سادة البلاد .

ولو استعرضنا الخدمات التي قدمتها انجلترا للصهيونية لأخَذَنا العجبُ من تصرف الصهيونيين تجاه انجلترا بتوجيه إرهابهم إليها لا لشيء إلا لأن انجلترا أحست أن سياستها الداعمة للصهيونية قد فجرت ثورات فلسطينية عديدة ، ومقاومة ضد اليهود والإنجليز شديدة ؛ وخلقت رغبة صهيونية في التخلص من الإنجليز أكيدة ، لذا حاولت إنجلترا التمسك بإقامة وطن قومي لليهود لا دولة يهودية ، والحد من الهجرة اليهودية لا إطلاق العنان لها ، والمحافظة على أبسط حقوق عرب فلسطين لا استئصالهم . كل هذا من أجل الحفاظ على حقها في هذا المشروع أولاً ، وعلى الاستقرار داخل أرض فلسطين ثانيًا ، وامتصاص غضب البلاد العربية ثالثاً . فكان جزاء الإنجليز أن شملهم الإرهاب الصهيوني بسبب هذه السياسة .

كيف نشأت دولة إسرائيل؟

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية رأت المنظمات الصهيونية أن دور انجلترا في التمهيد لقيام دولة يهودية قد انتهى ، وأن وجود إنجلترا في فلسطين أصبح عقبة في

---

(1) مناحم بيجن " التمرد قصّة الأرجون " . نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

(2) " جزاه جزاء سنمار " هو مثل عربي شهير ، وسنمار هذا مهندس رومي، بني قصرا عظيما بالكوفة للملك النعمان ، فلما فرغ منه ألقاه النعمان من أعلاه فخر ميتاً، و فعل ذلك لئلا يبني مثله لغيره. فضربت العرب به المثل لمن يجزي بالإحسان الإساءة. (مجمع الأمثال للميداني)

سبيل قيام الدولة اليهودية ، وأنه من الضروري انتقال رعاية المشروع الصهيوني من إنجلترا إلى الولايات المتحدة الأمريكية خاصة بعد ضمان إيمان الرئيس الأمريكي ترومان بالمشروع الصهيوني فما كان نجاح ترومان وحزبه الديمقراطي في انتخابات الرئاسة الأمريكية سنة ١٩٤٥م ليتم إلا بالأموال الباهظة التي أنفقها اليهود .

وكان نتيجة ذلك أن شكلت الولايات المتحدة وانجلترا لجنة انجليزية أمريكية في نوفمبر ١٩٤٦م لإيجاد حل للمشكلة الفلسطينية ، وكان الهدف من تشكيل هذه اللجنة العمل على تحقيق المصالح الصهيونية في فلسطين لذا جاءت قرارات هذه اللجنة على النحو التالي :

١- فلسطين ستكون دولة يهودية .

٢- فتح باب الهجرة اليهودية .

٣- حرية انتقال الأراضي من العرب إلى اليهود .

وحاولت الحكومة البريطانية عن طريق عقد مؤتمر في لندن الوصول إلى حل مَّا إلا أن الصهيونيين رفضوا حضوره إلا إذا وافقت بريطانيا على قيام دولة يهودية في فلسطين ، وحضره العرب وكشفوا فقط عن مخطط إبادة اليهود لعرب فلسطين ، ولمَّا انتهى المؤتمر على هذا النحو أعلنت انجلترا نفض يدها من المشكلة ووضعها بين يدي الأمم المتحدة . (١)

دعت بريطانيا الجمعية العامة للأمم المتحدة للاجتماع في دورة غير عادية في مايو ١٩٤٧ حيث قررت الجمعية اختيار لجنة تحقيق لتحضير تقرير عن مسألة فلسطين . وقدمت اللجنة تقريرها الذي اقترحت فيه تقسيم فلسطين على دولتين

(1) د. عطية القوصي ، د. عبد العزيز نوار ، د. عاصم الدسوقي وغيرهم " الحضارة الإسلامية وتاريخ العرب الحديث " مرجع سابق ص ٢٢٨

مستقلتين مع اتحاد اقتصادي ، وتدويل مدينة القدس ، ووافقت الجمعية العامة على التقرير وأصدرت قرارها الشهير رقم ١٨١ بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ باعتماد ذلك المشروع وبتكليف مجلس الأمن باتخاذ التدابير اللازمة لتنفيذه ، وصوتت الحكومات العربية بالرفض على قرار التقسيم ، ولكنه أجيز بأغلبية ٣٣ دولة ضد ١٣ ، وامتنعت ١١ دولة عن التصويت .

وأجمع ممثلو الدول العربية في كلماتهم على أن الحل الوحيد لقضية فلسطين الذي يتفق مع العهود المقطوعة للعرب هو إنهاء الانتداب ، وإنجاز استقلال فلسطين في ظل دولة واحدة ديمقراطية تعترف بجميع حقوق مواطنيها وتمنح الضمانات للأقليات فيها .

أما الوكالة اليهودية فقد أعلن مندوبها في الجمعية العامة للأمم المتحدة عن موافقته على مشروع القرار وجاء في كلمته " إن الوكالة اليهودية تقبل جميع التوصيات التي أيدتها لجنة التحقيق بإجماع الآراء .

إن قرار التقسيم يؤكد هذه المؤامرة الحقيرة على فلسطين وشعبها لذا سنقف وقفة لنبين ما جرى في كواليس الأمم المتحدة لضمان صدر قرار التقسيم .

كيف صدر قرار تقسيم فلسطين

إن حل تَقْسِيم فلسطين صدر عن الجمعية العامة لِلأمم المتحدة، في ٢٩ من نوفمبر عام ١٩٤٧م، وفي ذلك التاريخ كان اليهود يُكَوِّنُونَ ٣٢ % من السكان، ويملكون ٥,٦% من الأراضي، وإذا بالدولة الصهيونية تتسلم ٥٦% من الأراضي، بما في ذلك أخصب المناطِق الزراعية .

وعن كيفية الوصول إلى قرار التقسيم يقول جارودي : " ولقد أتاح التصويت على هذِهِ الخطة مجالا لمؤامرات حقيرة؛ ففي ١٨ من ديسمبر عام ١٩٤٧م وقف عضو الكونجرس الأمريكي لورانس سميث، فذكر هذه المؤامرات أمام الكونجرس، وقال:

"فلْنَنْظُر ما جرى في جمعية الأمم المتحدة خلال الاجتماع السابق من تصويت على التقسِيم، كان لابد أن يُصوِّت ثُلُثا الأصوات إلى جانِب القرار للموافقة عليه . لقد أُعِيدَ التصويت مرتين . وفي أثناء ذلِك تَعَرَّضَ مندوبو ثلاث دول صغيرة لضغط قوي . لقد كانت الأصوات الحاسمة هي أصوات : هاييتي، وليبيريا، والفلبين، ولقد كَفَتْ هذه الأصوات لإحراز أغلبية الثُّلُثَيْن، وكانت هذه البلاد قبل ذلك مُعْتَرِضَة على التَّقْسِيم . إن الضغوط التي مارسها مندوبونا، ورجالنا الرسميون، وبعض المواطنين الأمريكيين تعتبر عملا ذمِيمًا . " (١)

وكتب دروبيرسون في صَحيفة شكياغو ديلي، في ٩ من فبراير عام ١٩٤٨م مُحَدِّدًا هذه النقاط : " لقد سعى هارفي فايرستون، مالك مزارع المطاط في ليبيريا لدى الحكومة الليبيرية ..".

ومَارَسَ الرئيس ترومان ضَغْطًا لا مثيل له على رياسة الدولة، وكتب نائب رئيس الوزراء سمنرولز يقول: " اِسْتِجَابَةً لأوامر مباشرة من البيت الأبيض مَارَسَ الموظفون الأمريكيون ضغوطاً مباشرة أو غير مباشرة. حتى يُؤَمِّنُوا الأغلبية الضرورية عند التصويت النهائي . " (٢)

ويؤكد وزير الدفاع ـ آنذاك ـ جيمس فورستال أن "الطُّرُق المستخدمة لِلضَّغْطِ، ولإكراه الأمم الأخرى في نطاق الأمم المتحدة، كانت فضيحة . " (٣)

وأما عن أسلوب "الضغوط" التي مارسها "اللوبي" الصهيوني، وضغوط "التصويت اليهودي" فقد اعترف الرئِيس ترومان نفسه أمام مجموعة من الدبلوماسيين، عام ١٩٤٦م فقال :

---

(1) مضبطة الكونجرس فِي ١٨ من فبراير عام ١٩٤٧م صِ ١١٧٦. نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

(2) سمنرولز " نحن لا نحتاج إلى السقوط "بوسطون، بوجتون ميفلين، ١٩٤٨م، صِ ٦٣ . نقلا عن "فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

(3) مذكرات فورستال صِ ٣٦٣ . نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

" إنِّي آسف، أيها السادة، ولكن ينبغي أن أجيب مئات الألوف من الناس الذين ينتظرون نجاح الصهيونية، وليس عندي مئات الألوف من العرب بين ناخبيَّ . " (١)

ويقرر رئيس الوزراء الإنجليزي القديم إيرل كليمنت أتلى في مذكراته هذه الشهادة : " إن سياسة الولايات المتحدة، في فلسطين كانت خاضعة للتصويت اليهودي، ولمساعدات الشركات اليهودية الكبرى ." (٢)

لقد اتُّخذَ قرار التقسِيم بوساطة الجمعية العامة، لا بوساطة مجلس الأمن، فقد كان له ـ إذن ـ قيمة التوصية، لا قيمة القرار واجِب التنفيذ !!

لم يكن الفلسطينيون وحدهم يرفضون هذا التقسِيم، فإن أرجون "مناحم بيجن" أعلنت آنذاك أن هذه التجزئة غير قانونِية ، ولا يمكن الاعتراف بها، ودَعَت اليهود : " لا إلى طرد العرب فحسب ، بل إلى الاستيلاء على كل فلسطين . " (٣)

الدول العربيةّ وقرار تقسيم فلسطين

لقد حاولت الوفود العربية – آنذاك ـ كسب تأييد العرب الأمريكيين لصالح حقوق شعب فلسطين وإسقاط قرار التقسيم عند التصويت عليه في الجمعية العامة للأمم المتحدة ولكنهم فوجئوا أن " أن هؤلاء العرب الأمريكيين لم يبق منهم من يعرف اللغة العربية ، بل اندمجوا في الكتلة الأمريكية اندماجا تاما "(٤)

وذهبت كل الخطب التي قيلت باللغة العربية أدراج الرياح " على أن الخطب الكثيرة التي ألقاها العرب باللغة الإنجليزية قد أقنعت هؤلاء الأمريكان من أصل عربي بأن الاتجاه إلى تقسيم فلسطين اتجاه ظالم ، وفتحت أعينهم على ما نَبَّه إليه

(1) وليام إدْي " فرانكلين روزفلت يقابِل ابن سعود" نيويورك، الأصدقاء الأمريكيون لِلشَّرْقِ الأوسط عام ١٩٥٤م صِ ٣٧ . نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

(2) كليمنت آتلِيّ "رَئِيس الوزراء يَتَذكّر" فرانس ويليام ــ ط هينمان لندن ١٩٦١م، صِ ١٨١. نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

(3) مناحم بيجن " التمرد: قصة الأرجون " صِ ٣٣ ٥ نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

(4) د. محمد حسين هيكل " مذكرات في السياسة المصرية " دار المعارف ج٣ / ص ٣٧

الخطباء العرب من اتجاه السياسة الصهيونية إلى التوسع حتى تمتد دولتهم من الفرات إلى النيل ، لكنهم لم يكونوا يملكون أن يصنعوا شيئا من مثل ما يصنعه اليهود الأمريكيون . فلم تكن للعرب سياسة كالسياسة الصهيونية تقررت منذ عشرات السنين، فالعرب يعملون لتنفيذها بصبر ومثابرة كصبر اليهود ومثابرتهم . ولم تؤيد دولة قوية واحدة سياسة العرب كما أيدت الولايات المتحدة وأيدت روسيا سياسة الصهيونيين . لهذا لم يكن لهذه الحفلة الأمريكية العربية من الصدى ما تخطى حدود فندق بنسلفانيا إلا قليلا " (١)

إن العرب فشلوا في إقناع الرأي العام العالمي بعدم تقسيم فلسطين في حين نجحت الصهيونية في كسب تأييد أمريكا القوى العظمى فالرئيس الأمريكي ترومان أعلن في افتتاح الجمعية العامة في الجلسة الأولى لبحث مسألة فلسطين " أعلن فيه أن الحكومة الأمريكية تنظر إلى مقترحات اللجنة التي أشارت بتقسيم فلسطين بعين التقدير والاعتبار " (٢)

وكان العرب يتخيلون أن السوفيت قد يعاونهم جريًا على سياستهم في معارضة أمريكا معارضة مطردة في كل موقف قد تتخذه ، وجاء قرار روسيا مخيبا لآمال العرب إذ أعلنت موافقتها على تقرير لجنة التقسيم .

وكان من الطبيعي أن يأتي تصويت الجمعية العامة للأمم المتحدة لصالح تقسيم فلسطين .

حرب فلسطين ١٩٤٨

بعد صدور قرار التقسيم أعلنت حكومة بريطانيا أنها ستنسحب من فلسطين في ميعاد غايته ١٥ مايو ١٩٤٨م ، وكانت كل التطورات لصالح اليهود حيث كان لديهم القوات المدربة ، والأموال الكثيرة ، والدعم الدولي وعلى رأسه القوتان العظميان :

(1) نفسه ص ٣٨
(2) نفسه ص ٢٨

الولايات المتحدة ،والاتحاد السوفيتي . بينما كانت البلاد العربية التي تدعم الحق العربي في فلسطين مشغولة هي الأخرى في تحرير نفسها من الاحتلال الأجنبي .

وعندما كانت آخر القوات الإنجليزية تغادر فلسطين أُعْلِن قيام دولة إسرائيل ، واعترفت بها كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ومعظم دول العالم .

وليت العرب عرفوا قدرهم ، وأقروا بعجزهم ، وقدَّروا قوة عدوهم واعترفوا بقرار الأمم المتحدة لهان الأمر ولجنبوا أنفسهم ويلات حروب لا نصيب لهم فيها إلا الهزائم النكراء .

ولكن الذي حدث على النقيض من هذا فالحكام العرب أرادوا أن يضيفوا إلى هزيمتهم السياسية هزيمة عسكرية أيضا تأتي على الأراضي الفلسطينية الباقية !!

فبدلاً من دعم الدول العربية للفلسطينيين وقوات المتطوعين لمنع التقسيم ، أو الإقرار بالأمر الواقع الذي فرضه ضعفهم وقوة عدوهم وتواطؤ القوى العظمى ضدهم بقبولهم لقرار التقسيم بعدما فشلت كل الجهود الدبلوماسية في التوصل لأفضل منه بدلا من هذا وذاك ، راح العرب - كما هي عادتهم - يلجئون إلى الخطب الرنانة وإثارة الحماسة الدينية والإقدام على المغامرات غير المحسوبة بغية تصفية حسابات مع بعضهم البعض ، والتنافس على توسيع حدود ممالكهم على حساب دولة فلسطين مستترين وراء الدفاع عن المقدسات الدينية والأرض العربية مزايدين في القومية على أعدائهم من القوى السياسية الذين يرون أن الجهاد الحقيقي إنما يكون من أجل جلاء الاحتلال الأجنبي وإقامة الدستور وتطبيق الديمقراطية ، وتوجهوا إلى الجماهير العربية التي سبق أن ساموهم الخسف والعذاب ، والفقر والجهل والمرض راح هؤلاء الحكام المستبدون يمالئون الجماهير العربية التي كانت تضج بالحماسة للقضية الفلسطينية وتجعلها في مقدمة اهتمامها وقرروا – دون انتظار موافقة حكوماتهم – تحريك الجيوش إلى فلسطين للقضاء على اليهود في غضون أيام قلائل هكذا أوحى حكام العرب لشعوبهم !

وليت أنهم أعدوا للحرب عدتها بل أرادوها مظاهرة عسكرية ليس إلا فالجيوش العربية " كان تكوينها أصلا مُعَـدًّا على أساس القيام بالعمليات البوليسية وبغرض إظهار المظهرية فقط "(١) لذا فلا عجب أن يهملوا جمع المعلومات عن قوة العدو الصهيوني ، ليس ذلك فحسب بل إن أعداد القوات التي أرسلوها للقتال لا تتناسب فقط وعدد العرب آنذاك (الذي كان يصل إلى سبعين مليون نسمة ، بالإضافة إلى أربعمائة مليون مسلم في مقابل ستمائة ألف يهودي) بل لا يتناسب مع عدد اليهود المشاركين في المعركة !!

كما نسي هؤلاء الحكام إخطار القيادات العسكرية المشاركة في الحرب إلا في آخر لحظة ، أما عن مقدرة القيادات العسكرية على خوض المعارك ، والتخطيط لها والتنسيق بين الجيوش ، وتدريب الجيوش على القتال وعلى الخطط الحربية فحدث ولا حرج .

وكانت الجيوش العربية قليلة العدد ضعيفة القيادة عديمة الخبرة والتدريب الحديث ضئيل التسلح كان عليها أن تدخل " في مواجهة إسرائيل بصلابتها . كانت الدول العربية تقف في جبهة مفككة يعوزها التنظيم وتفتقر إلى الوحدة ، رجال السياسة فيها عاجزون وركبتهم الأوهام ومتأكدون من تفوقهم لدرجة أنهم اعتقدوا أنه يكفي جمع المعلومات عن العدو في اللحظات الأخيرة قبل القتال ، ويفسر الباحثون هذا الجهل بالتناقض الحاد في الحساسيات والتقديرات التي تميز مشكلة فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي ، وقد انعكس ذلك على العرب حيث لم يتخذوا الأهبة ولم يجروا استعدادا ولم يضعوا أي خطة جادة لمتطلبات الحرب ولم يكن همهم الأول إنزال الهزيمة بالعدو والانتصار عليه وإنما مراقبة بعضهم البعض تربصا وخيفة وحتى في أثناء العمليات العسكرية والاشتباكات المستمرة كان المصريون يخشون الملك عبد الله أكثر مما يخشون بن جوريون على حد ما يراه أحد الباحثين" (٢) وفي الجلسة

(1) د. محمد نصر مهنا " صور من المشكلات السياسية في العالم المعاصر " ص ١٦ دار المعارف ط١
(2) نفسه ص ١٦ مرجع سابق

السرية التي عقدها النقراشي (رئيس الوزراء المصري آنذاك) للرد على استجواب من فؤاد سراج الدين حول الحرب قال " إن نوري السعيد قد عرض عليه تكوين قيادة مشتركة ، ولكنه رفض لأنه " لا يستطيع أن يتحمل متاعبهم ، ولا يود أن يضع رقبته في أيديهم " (١)

يقول الأستاذ محمد حسنين هيكل : عن الدول العربية التي شاركت في حرب فلسطين : " إن هذه الدول العربية هي التي أضاعت ٧٨،٥% من أرض فلسطين، هل ممكن أن تتخيل أن هذه الدول العربية مجتمعة كلها وَضَعَت في ميادين القتال :

أولا : ما لا يزيد عن ثلاثين ألف جندي على كل الجبهات، في حين أن إسرائيل وضعت ١٠١ ألف جندي ومتطوع .

ثانيا : كان عند إسرائيل على أقل تقدير من ١٢٠: ١٣٥ جنرالا كانوا موجودين في الحرب العالمية الثانية يهود في الجيش السوفيتي في الجيش الأميركي في الجيش الفرنسي وقد استدعوا جميعا لكي يقودوا المعركة .

ثالثا : نحن – العرب - لم يكن لدينا فكرة عن الحرب ولم نكن داخلين لكي نحارب. نحن كنا داخلين بالاتفاق مع الدول المسيطرة، إنجلترا بالتحديد، أننا سوف نبقى في حدود قرار التقسيم .فدخلنا ملتزمين حدود التقسيم لم نتجاوزها، لم يتجاوزها منا أحد.

رابعا : لمَّا اكتشف اليهود ضعفنا بدءوا يتجاوزون الحدود لدرجة أنهم اخترقوا الحدود المصرية وكادوا يطوِّقون الجيش المصري . (٢)

فإذا كان حال الجيوش العربية بهذا الضعف ، والوحدة العربية بهذا التفكك ، والحكام العرب بهذا العداء و التخوين ، فلماذا أقدم حكام العرب على الحرب ؟

والجواب ببساطة أو بمرارة أن حكام العرب كان غرضهم من دخول الحرب ليس دحر العصابات اليهودية وإعادة حقوق الشعب الفلسطيني له أنما كان التحاسد والتباغض بين بعضهم البعض هو الغاية المنشودة من هذه الحرب فقد كان " الملك

(1) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليو " الجزء الأول ص ١٣٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(2) محمد حسنين هيكل برنامج برنامج " مع هيكل " حلقة خاصة بمناسبة مرور ستين عاما على إنشاء دولة إسرائيل " فلسطين حق يأبى النسيان ج١ " مرجع سابق .

فاروق يضمر الحسد من الملك عبد الله " (١) فلكل منهما أهداف من الحرب مخالفة للآخر ولقد سعى كل واحد منهما إلى تكوين تحالفات لإفشال خطة الآخر " فالأردن تؤيده العراق أراد التدخل عسكريا كي يؤمن أجزاء من فلسطين التي خُصِصَتْ للدولة العربية حسب خطة التقسيم في حين أن مصر تؤيدها السعودية أرادت أن تعوق خطة الأردن / العراق بإلغاء التقسيم " (٢) .

لذا جاء قرار الملك عبد الله " بإلغاء منظمة الجهاد المقدس الفلسطينية ، وجميع القوى والعصابات التابعة لها ، وإلغاء جيش الإنقاذ المؤلف من المتطوعين ، وطلب إلغاء الهيئة العربية العليا لفلسطين ، ووضعت خطة محكمة لإبعاد الفلسطينيين من ميدان الجهاد والسياسة ، وعن كل ما يتعلق ببلادهم ومستقبلهم وحياتهم " (٣) .

لقد جاءت هذه القرارات متسقة مع إستراتيجية الملك عبد الله التي " بدت وكأنها تسير في توافق مع بن جوريون فما كاد يستأنف القتال وتنهزم قواته في اللد والرملة – أو يسحبها عمدا – في مؤامرة بين جلوب والصهيونية ، حتى قرر الملك عبد الله إيقاف القتال بدون انتظار قرار مجلس الأمن "(٤) تاركا القوات المصرية تنهزم وتطرد مما استولت عليه من أراض (النقب) .

ويذكر لنا الأستاذ محمد حسنين هيكل حكاية عن الملك عبد الله قائد الجيوش العربية تظهر كيف كان الملك عبد الله يفكر ؟ وكيف كانت المعركة تُدار ؟

" ذهبت إلى عمان وجاءت عليها غارة، غارة من طائرة واحدة إسرائيلية ضربت قنبلة قرب قصر رغدان في نفس اليوم الذي جاء وزراء الخارجية العرب يقابلون الملك عبد الله لأنه كان قائد الجيوش العربية كلها المفروض القائد الأعلى، لكي يقرروا وقف

(1) د. محمد نصر مهنا " صور من المشكلات السياسية في العالم المعاصر " ص ١٧ مرجع سابق
(2) نفسه ص ٢٨ .
(3) السيد محمد أمين الحسيني " حقائق عن قضية فلسطين " مرجع سابق ص ٢٤ ط ٢ .
(4) د. محمد نصر مهنا " صور من المشكلات السياسية في العالم المعاصر " ص ١٨ مرجع سابق .

إطلاق النار أم لا ، فأنا طلعت المقر لقيت الملك عبد الله يتمشى في القصر صباحا بعد ما جاءت الغارة امبارح بالليل وفرضوا إطفاء نور كامل في عمان، وأنا طالع على قصر رغدان، قصر رغدان منور، فأنا رحت لقيته يتمشى في الجنينة منتظرا وزراء الخارجية، قلت له : يا أفندم القصر منور عمان تحت مظلمة، قال لي : " أنت عايز يقولوا إن ملك هاشمي أطفأ أنواره خوفا من اليهود ؟ أنا امبارح لما جاءت الغارة أنا لم أسكت أنا خرجت بره القصر وأخذت رشاشا ومعي مناور وهو صار يرصد الطائرة وأنا أطخ !! "

ما هذا ؟ هل هذه حرب ؟ الحرب تحتاج أولاً إلى علم ، وتحتاج ما هو أهم ، تجنيد موارد ، تحتاج ما هو أهم إلى تراكم تجارب . (١)

ولم ينس حيدر باشا متواطئا مع الملك فاروق أن يخفي حقيقة ما يجري على أرض فلسطين فراح يصدر البيانات الكاذبة عن حقيقة الوضع في المعركة " كانت أنباء القتال كما تصفها البلاغات الرسمية مطمئنة إلى حد يشعر معه من يقرؤها أو يسمعها أن الدول العربية توشك أن تدخل تل أبيب . من أجل هذا لم يتحمس الرأي العام لفكرة وقف القتال أو إعلان الهدنة . " (٢)

وجرت اتصالات بين الدول العربية أسفرت عن قبول الهدنة لمدة ثلاثة أسابيع لأنهم يعرفون بواطن الأمور الخافية على الشعوب .

ولم تستغل الدول العربية الهدنة بتزويد جيشها بالعدة والعتاد ، كما أنها لم تعمل على تنظيم صفوفها وأحكام خططها وفقا لسير المعركة ومع ذلك رفضت مد الهدنة ثلاثة أسابيع أخرى واستمرت البلاغات الرسمية الكاذبة تمني الناس بقرب دخول تل أبيب ! " وإنهم لكذلك إذ أذاعت هذه البلاغات الرسمية أن جناح الجيش الأردني

(1) محمد حسنين هيكل برنامج " مع هيكل " حلقة خاصة بمناسبة مرور ستين عاما على إنشاء دولة إسرائيل " فلسطين حق يأبى النسيان ج١ " مرجع سابق .

(٢) د. محمد حسين هيكل " مذكرات في السياسة المصرية " الجزء الثالث ص ٤٨ مرجع سابق

المتصل بالجيش المصري ، والمرابط في بلدتي اللد والرملة ، قد تخلى عنهما ، فاستولى عليهما اليهود . ومن يومئذ بدأت حركات الجيوش العربية تبعث إلى النفوس شيئا من الريبة ، وإن أبى الناس أن يصدقوا أن قوة إسرائيل تستطيع أن تتغلب على جيوش الدول العربية الست المشتركة في القتال . وبدأ الناس يسمعون بعد ذلك عن تخلى بعض الجيوش العربية عن البعض الآخر ، وعن تجسس بعض العرب الفلسطينيين لحساب اليهود . لذا بدأ التفاؤل الأول يذوي شيئاً فشيئاً . " (١)

واستمر القتال بين العرب واليهود ينتقل من السيئ للأسوأ بالنسبة للعرب . وبدأت القوات العربية تنسحب من مواقع احتلتها كبئر سبع الذي سبق أن استولت عليه القوات المصرية بتضحيات وخسائر فادحة ، وازداد الأمر سوءا بحصار اليهود لقوات من الجيش المصري في الفالوجا .

وفي تلك الأثناء سعى الكونت فولك برنادوت وسيط الأمم المتحدة لوضع أساس للصلح بين إسرائيل والدول العربية فلما فشلت مساعيه الحميدة في التوصل لصلح رأي أن يرفع إلى الأمم المتحدة تقريرا برأيه في الموقف وطريقة حله . وقد رفع هذا التقرير بالفعل واقترح فيه أن تعطى منطقة النقب للعرب ، وأن يعوض اليهود عن ذلك بأن يعطوا منطقة الجليل الغربي المجاورة للبنان . وكان هذا التقرير سيعرض في الجمعية العامة للأمم المتحدة حين ينعقد بباريس في شهر سبتمبر من سنة ١٩٤٨.

ونظرًا لأن هذا التقرير كان أفضل الحلول للقضية آنذاك فإن اليهود قاموا باغتيال الرجل النزيه برنادوت مبعوث الأمم المتحدة لأن تقريره يقضي على أحلامهم التوسعية ونظر الناس في كل الأمم إلى التقرير الذي وضعه على أنه وصية لرجل شريف ، وأن من واجب الأمم المتحدة أن تقر هذه الوصية وتنفذها . ما عسى أن يكون موقف الدول العربية من هذه الوصية ؟

(1) نفسه ص ٤٩ .

لقد كانت تدرك أن لها مصلحة كبرى في قبولها . وكانت إنجلترا وأمريكا قد بعثت إليها تبلغها أنها إذا قبلتها وجدت تأييدًا تاما من الدولتين الكبيرتين ومن مجموعة الدول الدائرة في فلكهما ، وهذه المجموعة تؤلف أغلبية عظمى في الجمعية العامة للأمم المتحدة . ولم يكن ثمة ريب في أن إسرائيل ستقف كل جهدها في سبيل هذه المقترحات التي أدت إلى أن يقتل اليهود برنادوت ، فهي إن فعلت انقلبت الكفة في الأمم المتحدة وأصبح العرب موضع عطفها بعد أن كان اليهود موضع هذا العطف .

لكن الدول العربية نظرت إلى المسألة من ناحية أخرى فهي إن أقرت مقترحات برنادوت أقرت التقسيم الذي طلبته الأمم المتحدة ، والتي قامت الدول العربية في وجهه وحاربته بقواتها المسلحة . (١)

وهنا تتجلى آفة من أعظم آفات كثير من العرب تغليب ما قد يراه كرامة شخصية أو مصلحة ذاتية على مصلحة الأمة ، أو بمعنى آخر أن الحاكم العربي على استعداد أن يضحي بمصلحة الأمة في سبيل محافظته على زعامته الجوفاء ، فسياسته للأمة مبنية على موروث جاهلي وهو أن العداوات دائمة والمصلحة غائبة ، وهذا مما أضر بالعرب أبلغ الضرر قديمًا وحديثاً مع أن من حسن السياسة أن " المصالح هي التي تدعو إلى قيام الحرب واشتعال العداء ، والمصالح هي التي تدعو إلى عودة السلام ، وكما قال لوريان لمرستون : " لا عداء دائم ولا صلح دائم وإنما مصلحة دائمة" (٢)

وفي النهاية أدت السياسة العربية الخرقاء إلى هزيمة القوات العربية ، واستيلاء القوات الإسرائيلية ليس فقط على الأجزاء التي خصصتها الأمم المتحدة بمقتضى قرار التقسيم لكن الاستيلاء على أجزاء أكثر منها بكثير ، واضطرت البلاد العربية المواجهة (مصر ، والأردن ، وسوريا ، ولبنان) إلى عقد اتفاقيات الهدنة (هدنة

(1) نفسه ص ٥٢ .
(2) السفير محمد التابعي " الدبلوماسية في الإسلام " ص ١٣٤دراسات قومية تصدر عن مركز النيل للإعلام .

رودس) عام ١٩٤٩م ، وأعلنت الولايات المتحدة وفرنسا وانجلترا في عام ١٩٥٠م ضمان هذه الحدود الجديدة لإسرائيل . (١)

وقد كتب بن جوريون نفسه يقول: "إنه حتى رحيل البريطانيين لم تخترق أية مستعمرة يهودية، حتى ولو كانت مُتَطرِّفة بعيدة، أو يستول عليها العرب، في حِين أن الهاجاناه بما وجهت من هجمات قوية وكثِيرة - اِستولت على كثِير مِن المواقع العربية، وحررت طبرية، وحيفا، ويافا، وصفد " (٢)

واختصارًا، يخطئ من يقول: إن دولة إسرائيل أُنْشِئَت بوساطة الأمم المتحدة، فلقد أنشِئت بمجموعة مِن الأحداث شكلت "الأمر الواقِع" .

رسم المؤرخون الإسرائيليون الجدد صورة أكثر واقعية تقترب إلى حد ما من الرواية الفلسطينية لوقائع حرب ١٩٤٨، والتي تبين أن المطامع الصهيونية قد تم تحقيقها على حساب السكان الفلسطينيين وأن العرب أبعدوا عن طريق الطرد، وقد أظهر المؤرخون الجدد أن العالم العربي لم يكن لديه قوة عسكرية مخيفة، بل كان مفككا يتكون من دول متخلفة، بعض حكامها متواطئ مع الصهاينة، وجيوشها سيئة التدريب وقدراتها القتالية شديدة التدني كل هذا يؤدي إلى نزع البطولة عن اليهود بل بين هؤلاء المؤرخون الجدد أن إسرائيل دولة متعنتة، ترفض السلام وقد اعتمد هؤلاء المؤرخون الجدد المادة الأرشيفية التي رفعت عنها السرية بعد مرور ثلاثين عاما. (٣)

كيف حوَّلت الصهيونية أسطورة أرض بلا شعب إلى حقيقة ؟

ولم يكن مخطط تهجير اليهود إلى فلسطين وطرد الفلسطينيين منها معلنا بل تم إخفاؤه فشعارات مثل "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض" و"إرتس يسرائيل التي تمتد

(1) د. عطية القوصي ، د. عبد العزيز نوار ، د. عاصم الدسوقي وغيرهم " الحضارة الإسلامية وتاريخ العرب الحديث " مرجع سابق ص ٢٣٠

(2) دافيد بن جوريون "بعث وقدر إسرائيل " صِ ٥٣٠ . نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

(3) " قاموس المصطلحات الصهيونية " موقع السلطة الوطنية الفلسطينية على الإنترنت .

من النيل إلى الفرات" أو " إعادة يهود الشتات إلى أرض الميعاد " و" نفي العرب من بلادهم وتحويلهم إلى لاجئين " كل هذه الشعارات قد تم إخفاؤها عن طريق استخدام الخطاب الصهيوني المراوغ .

فعندما انضمت إسرائيل لمنظمة الأمم المتحدة – بإرادة الولايات المتحدة الأمريكية - في ١١ مايو ١٩٤٩فإنها لم تقبل عضوا إلا بثلاثة شروط هي :

١- عدم المساس بوضع مدينة القدس .
٢- السماح للعرب الفلسطينيين بالعودة إلى ديارهم .
٣- احترام الحدود التي وضعها قرار التقسيم .

ولكن بن جوريون أعلن في معرض حديثه عن التقسيم وعن القرار الذي اتخذته الأمم المتحدة : " ترى دولة إسرائيل أن قرار الأمم المتحدة الصادر في ٢٩ من نوفمبر ١٩٤٧ يعتبر باطلا وكأنه لم يكن "(١)

وعندما بدأ الصهاينة مجازرهم ضد الفلسطينيين في ظل قرار التقسيم بدأت حركة التهجير وأخذت في طريقها في مرحلة أولى ٣٠٠ ألف فلسطيني لفت نظر العالم إليهم مبعوث الأمم المتحدة " الكونت برنادوت " الذي اغتاله الإرهاب الصهيوني في اليوم التالي لتقديمه التقرير الذي طلب فيه بتعديل قرار التقسيم على نحو أكثر ملاءمة للواقع . ثم كانت حرب ١٩٤٨ التي انتهت بطرد ٧٢٦ ألف فلسطيني من أرضهم ومدت سيطرة الدولة الصهيونية إلى نحو ٨٠ % وهكذا أقيمت دولت إسرائيل ، وطرد نصف سكان فلسطين .(٢)

وكان الأسلوب المستخدم والمتبع لطرد الفلسطينيين هو أسلوب الترهيب والتخويف والمثل الصارخ على ذلك هو مذبحة دير ياسين في التاسع من أبريل عام ١٩٤٨ والتي تمت بطريقة مماثلة لطريقة النازي في أورادور ، فقد تم قتل أهالي هذه

(1) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ١٥٧
(2) فيصل أبو خضرا " تاريخ المسألة الفلسطينية " مرجع سابق ص ٢٧، ٢٨ بتصرف يسير .

القرية البالغ عددهم ٢٥٤ نسمة (الرجال والنساء و الأطفال والشيوخ) على أيدي قوات الأرجون التي كان يرأسها مناحم بيجين .

يقول مناحم بيجين تعليقا على هذه المذبحة : " إنه بدون هذا الانتصار (!) في دير ياسين ما قامت دولة لإسرائيل ... وقد قامت الهاجاناه بهجمات مظفرة على جبهات أخرى .. وكان العرب الذين أصابهم الهلع يهربون وهم يصيحون : دير ياسين " (1)

وقد اعتبر حكام إسرائيل كل فلسطيني غادر منزله - من هَوْل المذابح الإسرائيلية – غائبا لا حق له في العودة وبهذه الطريقة صُودِر ثلثاً الأراضي المملوكة للعرب (٧٠,٠٠٠ هكتار من ١١٠,٠٠٠) وظل هذا المخطط متبعا حتى بلغ ما يملكه الفلسطينيون في عام ١٩٨٢ هو ٧ % من أرض فلسطين فقط .

ولمحوا ذكرى وجود السكان الفلسطينيين والتأكيد على أسطورة " أرض بلا شعب دُمِرت القرى الفلسطينية وهُدِّمت منازلهم وحتى قبورهم ، وقد أورد الأستاذ شاحاك عام ١٩٧٥ قائمة بأسماء ٣٨٥ قرية فلسطينية دُمِرت بالبولدوزر وذلك من بين ٤٧٥ قرية كانت مُسَجَّلة في عام ١٩٤٨ (2)

واستبدلت بالقرى الفلسطينية مستوطنات إسرائيلية ، وازداد هذا الاستبدال منذ ١٩٧٩ في الضفة الغربية ، وطبقا للتقاليد الاستعمارية الكلاسيكية ، وهي تسليح المستوطنين ، تم طرد مليون ونصف مليون فلسطيني وأصبحت " الأرض اليهودية " تمثل اليوم ٩٣ % من فلسطين بعد أن كانت ٥,٦ % عام ١٩٤٧ .

وقد حُرِّف " قانون العودة " لصالح اليهود فأي يهودي قادم من أي مكان يصبح مواطناً إسرائيليًّا بمجرد أن تطأ أقدامه مطار تل أبيب ،أما الفلسطيني المولود في فلسطين ومن أبويين فلسطينيين فيجوز اعتباره عديم الجنسية !

---

(1) راجع " اليهود والصليبيون الجدد " للمؤلف الطبعة الثانية الفصل الخامس " أشهر مذابح اليهود " . مرجع سابق .

(2) إسرائيل شاحاك " عنصرية دولة إسرائيل " ص ١٥٢ نقلا عن " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ١٦٣ .

ومن المدهش حقاً أن توصل الصهيونية إلى تحقيق الغرض الذي وضعه لهم المعادون للسامية وهو انتزاع اليهود من أوطانهم وحبسهم داخل جيتو عالمي .

الإرهاب الصهيوني ضد الفلسطينيين

أن الدولة الصهيونية "إسرائيل" لم تولد من وعد، أو هِبَة مِن الرب، ولا حتى بقرار مِن الأمم المتحدة، ولكِنها وُلِدَتْ مِن العنف المسلح، ومن "الأمر الوَاقِع". الذي صنعته العصابات الصهيونية : الهاجاناه، والأرجون، شتيرون .

فلم يكن الاستيطان الصهيوني ليتم إلا بالإرهاب والعنف ، وطالما ردد بن جوريون " أن الإمبراطورية الإسرائيلية سوف تمتد من النيل إلى الفرات وأن إسرائيل لا يمكن أن تعيش إلا بالقوة والسلاح " .

وقد جاء في كتاب " التمرد أو الثورة " لفيلسوف العنف الإسرائيلي مناحم بيجين "موضحا منهج وفلسفة العصابات الصهيونية : " قال ديكارت أنا أفكر إذن أنا موجود ، وأقول أنا أقتل إذن أنا موجود " .

وعن نتائج العنف يقول بيجين في كتابه " من مجموع ٨٠٠ ألف عربي كانوا يعيشون على بقعة إسرائيل الحالية عام ١٩٤٩ – حيث كتب كتابه بالعبرية – لم يبق غير ١٥٦ ألف عربي ، ولقد مهدت دير ياسين الطريق لانتصاراتنا الحاسمة في طبريا واحتلال يافا "

كما يقول " أوري أفنيري " في كتابه " إسرائيل بدون صهيونيين " ص ١٣٤ :

" نحن جيل من المستوطنين ودون الخوذة الفولاذية والمدفع لا نستطيع أن نزرع شجرة أو أن نبني بيتا "

ويقول " حاييم وايزمان " في مذكراته " التجربة والخطأ " :

" يستطيع الإنسان أن يلمس هنا وهناك تحللا للأخلاقية الصهيونية التقليدية ويلمس هنا وهناك مسحة من الروح العسكرية وارتماء في أحضانها بل وأكثر من ذلك

اللجوء إلى العنف والإرهاب والاستعداد للتعاون مع الشر كقوة لها فوائدها في تحقيق الوطن القومي لليهود "

وقد سيطرت فكرة العنف على وجدان العصابات الصهيونية فلم يكن المستوطن اليهودي فلاحًا وحسب بل كان أيضًا " الشومير " أي الحارس الذي يدافع عن الأرض التي سرقها ، وحيث إن الإرهاب كان سلاحا أساسيا ومباشرا لإجلاء الأرض من السكان الأصليين كان من الضروري تأسيس منظمات لها طابع مزدوج زراعي / عسكري حتى تترجم الرواية الصهيونية نفسها إلى واقع (١)

ويكتب أحد اليهود في صحيفة " هاملتس " الألمانية معللا لجوء اليهود الصهاينة إلى العنف فيقول :

" ماذا يفعل إخواننا (الصهاينة) في فلسطين إنهم عبيد في الدياسبورا (المنفى) وفجأة وجدوا أنفسهم أحرارا بلا حدود ولا رادع ، إن هذا التحول قد خلق في نفوسهم حالة من الميل إلى الاستبداد كحالة العبد عندما يتحول إلى سيد فهم يعاملون العرب بروح العداء والشراسة ثم يفاخرون بما يفعلون .. ورغم ذلك فليس هناك بيننا من هو قادر على الوقوف في وجه هذا الميل الخطير "

ولقد اشتركت المؤسسات الصهيونية على اختلافها في الإعداد للعمل الإرهابي حيث كانت التدريبات تجرى أسبوعياً في المدارس العبرية والدينية والمصانع الصغيرة والحمامات ودور العبادة اليهودية. وهكذا لم يكن النشاط الإرهابي عملاً على هامش الحركة الصهيونية. بل كان عملاً يرتبط بالوجود الصهيوني وبطبيعة الاستيطان . (٢)

(1) حسين الطنطاوي " الصهيونية والعنف " دار الشعب ص ٣٦.
(2) د. عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود والصهونية " م٧ ج٣ الباب الثاني الإرهاب الصهيوني/الإسرائيلي حتى عام ١٩٤٨.مرجع سابق .

المذابح الإسرائيلية وطرد الفلسطينيين

في عام ١٩٤٧ وعشية إنشاء دولة إسرائيل كان هناك ٦٠٠,٠٠٠ يهودي في فلسطين من مجموع السكان البالغ قدره مليون وربع مليون نسمة .

وهنا بدأ الاجتثاث المنظم للفلسطينيين فقد كان هناك قبل حرب ١٩٤٨ نحو ٦٥٠,٠٠٠ عربي يعيشون على أرض فلسطين ، وفي عام ١٩٤٩ لم يتبق منهم سوى ١٦٠,٠٠٠ عربي فقط ، وبسبب الخصوبة الشديدة وكثرة مواليدهم أصبحوا ٤٥٠,٠٠٠ في نهاية ١٩٧٠ ، وحسب إحصاء عام ١٩٩٨ بلغ عدد الفلسطينيين حوالي ٢,٥ مليون نسمة ، وبلغ عدد الفلسطينيين الكلى ٧,٧٨٨,١٨٦. يوجد معظمهم فى البلاد العربية، خاصة الأردن وسوريا ولبنان. وتوجد قلة منهم في الأمريكتين وأوربا . (١)

الحروب العربية /الإسرائيلية

إن ميلاد الدولة الصهيونية (إسرائيل) كان بفضل حربين :

١- الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨م) حيث اضطرت ضرورة الحصول على أكبر دعم ممكِن ضِد ألمانيا، فِي العالِم، وبِخاصة فِي أمريكا ـ اضطرت إنجلترا إلى إعطاء وعود بلفور عام ١٩١٧م.

٢- وفي الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م) نجح الزعماء الصهاينة فِي فرض أسطورة صهيون، التي تعنِي إنشاء دولة إسرائيل ، وذلك حين رفضت كل البلاد أن تستقبل اليهود المضطهدين على يد النازيين، فكانت إسرائيل نتيجة حتمية للهتلرية وللسياسة الأمريكية التي تبنت المشروع الصهيوني .

وإذا كان تاريخ الدولة الصهيونية "إسرائيل" يبين أنها وُلِدَتْ بفضل حربين، فقد امتدت حتى الآن بفضل ستة حروب ، هي :

---

(١) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ١٦٣- ١٦٥ بتصرف .

الحرب التِي اِنتهت عام ١٩٤٨م بالاستيلاء على أراضٍ تتجاوز الحدود التِي رسمتها الأمم المتحدة فقد حصلت على ٧٧,٤ % من أرض فلسطين .

وحرب العدوان عام ١٩٥٦م، "بالتواطؤ مَعَ إنجلترا وفرنسا" وفيها استطاعت أن تستولي على سيناء ، ولم تنسحب منها إلا بعد أن أصبحت مسألة مرور السفن الإسرائيلية رافعة العَلَم الإسرائيلي في خليج العقبة أمرا واقعا ، تحميه قوة الطوارئ الدولية التي ترابط في شرم الشيخ .

وحرب عام ١٩٦٧م . فحرب ١٩٦٧ - وما ترتَّب عليها من احتلال الأراضي العربية في سيناء والجولان والضفة الغربية وغزة - شكلت منعطفاً بارزاً في تاريخ التوسع الصهيوني باعتبار أن الكيان الصهيوني حقَّق أقصى اتساع له ووصل إلى الحدود الآمنة .

كما أن من أهم نتائج انتصار إسرائيل الساحق في ١٩٦٧ زوال الخلافات بين التيار الديني اليهودي المعادي للصهيونية وممارساتها الخارجة عن تعاليم التوراة واقترابه بل تطابقه مع التيار الصهيوني العلماني .

يقول د . عبد الوهاب المسيري " بعد احتلال ما تبقى من فلسطين في حرب يونيه ١٩٦٧، طرأ تحوُّل على مواقف معظم الأحزاب الدينية الصهيونية وغير الصهيونية من اعتبار هذه الحرب معجزة وإشارة ربانية إلى اعتبارها بداية الخلاص، وفي الأوساط الدينية غير الصهيونية انطلق الصوت الجديد من الولايات المتحدة، موطن زعيم حركة حبد، الحاخام شنيرسون. ويتلخص الموقف الجديد بالقول بأنه صحيح أن دولة إسرائيل بوصفها كياناً صهيونياً تعبير عن الكفر والتمرد على إرادة الله ، ولذلك فهي بالتأكيد ليست تعبيراً عن الخلاص، لكن، ومن ناحية أخرى، فإن أرض إسرائيل بسيادة يهودية تنطوي على مغازٍ ذات أهمية. ولذلك تدعو هذه الحركة إلى عدم التنازل عن أيٍّ من الأراضي التي احتُلت عام ١٩٦٧م ، وذلك من منطلق أحكام الشريعة الدينية .

لقد تأثر هذا الموقف منذ البداية بما سمي «المعجزات والإشارات السماوية» التي تجلت بالانتصارات في الحروب المختلفة، وخصوصاً حرب ١٩٤٨ وحرب ١٩٦٧. وقد اعتمد قسم من هذا التيار، في تأكيده عدم قدسية إسرائيل، على الفارق بين دولة إسرائيل وأرض إسرائيل، وعلى ذلك الجزء بالذات الذي لا يمثل مكاناً مهمًّا في التقاليد الدينية اليهودية. لكن، بعد احتلال عام ١٩٦٧، زال الفارق عملياً، وأصبح هناك تطابق بين أرض إسرائيل وهي مفهوم ديني وبين دولة إسرائيل وهي مفهوم سياسي علماني،وزاد اقتراب اتباع هذا التيار تدريجياً من الأوساط اليمينية في إسرائيل، أو لوبي أرض إسرائيل كما تُسمِّي هذه الأوساط نفسها .ومع أن هذا التيار ما زال غير صهيوني بالمعنى التقليدي، إلا أن تحوُّل أرض إسرائيل إلى قيمة دينية في نظره، جعله يقترب كثيراً من مواقف جوش إيمونيم . التي تعتبر حرب ٦٧ بداية الخلاص " (١)

وحرب عام ١٩٧٣م التي أوصلت إسرائيل إلى توقيع معاهدة السلام مع مصر في مقابل تخليها عن سيناء فقط . وبهذا خرجت مصر زعيمة الوطن العربي من الصراع ، مفسحة المجال لإسرائيل لتعربد في المنطقة .

وغزو لبنان عام ١٩٨٢م وحصار إسرائيل للعاصمة بيروت لمدة شهرين كاملين وإجلاء المقاومة الفلسطينية عن أرض لبنان .

وأخيرا غزو لبنان عام ٢٠٠٦ وتدمير إسرائيل للبنان تدميرًا شاملاً ، وإقصاء حزب الله عن الجنوب اللبناني الذي كان يحتله ويهدد منه شمال إسرائيل ، وإحلال قوات اليونيفيل بدلاً منه وهي قوات مهمتها منع أي هجوم محتمل على إسرائيل (٢)

---

(1) د. عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود والصهونية " م٧ ج ٥ الباب الأول أزمة الصهيونية . مرجع سابق .

(2) لمزيد من التفاصيل حول غزو إسرائيل للبنان عامي ١٩٨٢ ، ٢٠٠٦ راجع كتاب " إسرائيل وحزب الله ولبنان " للمؤلف دار الإبداع .

وهكذا نجح الصهاينة – بالنار والدماء - في إقامة المشروع الصهيوني على أرض فلسطين بل اتسع ليشمل أراض عربية أخرى ، كما نجحوا ليس فقط في كسب الرأي العام العالمي لصالح هذا المشروع بل نجحوا في كسب تأييد الدول العظمى ، والدول ذات التأثير في السياسة الدولية لهذا المشروع .

لقد كانت بريطانيا هي الراعي الرسمي للمشروع الصهيوني من وعد بلفور ١٩١٧ إلى مؤتمر بلتيمور ١٩٤٢ ، لتتحول الرعاية إلى الولايات المتحدة بعد ذلك . والآن الولايات المتحدة الأمريكية هي الراعي الرئيسي نعم ، ولكنها ليست الراعي الوحيد فهناك شبه إجماع من الدول الغربية على أن إسرائيل هي ثابت من الثوابت. يجب حمايته والدفاع عنه بالحق والباطل .

في حين فشل العرب في إفشال المشروع الصهيوني عسكريا وسياسيا ، فلم ينجح العرب في شيء سوى في إزكاء نار الفرقة وإشعال الصراع العربي العربي طوال القرن العشرين ابتداء من صراع بعض الحكام العرب مع الخلافة العثمانية ، حتى احتلال صدام حسين للكويت مرورا بصراع الملك فاروق مع الملك عبد الله ، والحرب العربية الباردة –الساخنة أحيانا كما حدث في حرب اليمن ، وأيلول الأسود - إبان الحقبة الناصرية . لم يتحد العرب إلا في حرب أكتوبر ١٩٧٣ ثم سرعان ما نشأ الصراع ثانية بين السادات وجبهة الرفض .

[وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ] (النحل : ٣٣ ، ٣٤)

[وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ] (الشورى : ٣٠)

إن ما يوصف بالتطرف يوماً يوصف بالاعتدال يوماً آخر بعد تغيير الحقائق على الأرض هذا هو القانون الصهيوني الذي مارسوه في صراعهم مع العرب . فبعد

إعلان وعد بلفور عام ١٩١٧ كان الصهاينة الذين يطالبون بإنشاء دولة صهيونية يعدون " متطرفين " لأن الحد الأقصى المعلن آنذاك هو " وطن قومي " وحسب .

ولكن هؤلاء المتطرفين أصبحوا معتدلين في الأربعينيات حينما أصبح الشعار الرسمي للحركة الصهيونية هو إنشاء دولة صهيونية وقبول قرار التقسيم والعيش مع العرب في سلام ! ومن ثم كان الحديث عن كامل أرض إسرائيل وطرد العرب هو عين التطرف الصهيوني .

ولكن بعد أن قضمت إسرائيل أراض تتجاوز حدود الأرض المعطاة لها بمقتضى قرار التقسيم وبعد أن تم طرد العرب ، أصبح الاعتدال الصهيوني هو تجاوز قرار التقسيم والقبول بالأمر الواقع والتمسك بحدود ١٩٤٨ وببقاء الفلسطينيين خارج ديارهم .

وبعد حرب ١٩٦٧ كان التطرف الصهيوني هو التمسك بكل أو بعض الأراضي المحتلة بعد عام ١٩٦٧ وبإقامة المستوطنات فيها . وبالتدريج تغيَّر مثل هذا الموقف الأخير، وأصبح الاعتدال هو قبول الأمر الواقع وتجميد المستوطنات مع الاستمرار في تسمينها (أي توسيعها) .

ينطبق الموقف نفسه على العرب بطبيعة الحال، فالمعتدل، من وجهة النظر الصهيونية، هو الذي يقبل الموقف الصهيوني المعتدل ويتغيَّر بتغيُّره. فالعربي الذي كان يقبل استيطان الصهاينة دون إنشاء دولة كان يُعدُّ (منذ عام ١٩١٧ وحتى الأربعينيات) معتدلاً، ولكنه أصبح متطرفاً بعد ذلك التاريخ.

ومن كان يقبل إنشاء الدولة اليهودية وقرار التقسيم عام ١٩٤٨ كان يُعدُّ عربياً معتدلاً، ولكن بعد إنشاء الدولة، أصبح مثل هذا الشخص متطرفاً. وظل الأمر كذلك حتى عام ١٩٦٧ حين أصبح الاعتدال العربي هو الرضوخ لحدود إسرائيل بعد عام

١٩٦٧ وأصبح تطبيق قرار ٢٤٢ أو حتى إنقاص المستوطنات في الضفة الغربية هو عين التطرف العربي .

المشروع الصهيوني والإجماع الصهيوني ينطلقان من الصيغة الصهيونية الشاملة المهوَّدة التي تفترض أن الجماعات اليهودية شعباً له علاقة عضوية بأرض فلسطين، وأن علاقة شعب فلسطين بأرض أجداده هي علاقة عرضية واهية هامشية تبرر عملية إبادتهم وطردهم (شعب يهودي بلا أرض لأرض بلا شعب فلسطيني). ومثل هذا المشروع لا يمكن تنفيذه إلا بحد السلاح وعن طريق الإرهاب . [1]

ومن الملاحظ أن الحفاظ على أمن إسرائيل هو دائماً الحجة التي تُساق لتحديد مفهومي الاعتدال والتطرف، وأن مواصفات هذا الأمن تحدده الدولة الصهيونية دائماً. ويُلاحَظ، في جميع الأحوال، غياب مفهوم العدل والتآكل التدريجي لمفهوم المقاومة إلى أن أصبح أي شكل من أشكال " المقاومة " شكلاً من أشكال التطرف والإرهاب !!

وقد تَسلَّل مصطلحا التطرف والإرهاب بمرجعيتهما الصهيونية إلى الخطاب السياسي العربي وأصبح يُشار إلى " العمليات الفدائية " بأنها " عمليات انتحارية " .

وقبل أن نغادر هذه النقطة يجب أن نفرق بين المقاومة المشروعة وغير المشروعة حتى ننصف الحق وديننا الحنيف مما لحق بهما من أفكار هما بريئان منها.

حرمة النفس الإنسانية

لقد صان الله تعالى حرمة النفس الإنسانية فحرم قتلها وجعل الله تعالى من قتل نفسا واحدة – بغير حق – فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها – صان حرمتها وحافظ على حياتها – فكأنما أحيا الناس جميعًا .

---

(1) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٧ / ج ١ " التحدي الحضاري الإسرائيلي " . مرجع سابق .

{ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا } (المائدة:٣٢)

وعبر سبحانه بقوله (كتبنا) للإشارة إلى أن الأحكام التي كتبها ، قد سجلت بحيث لا تقبل المحو أو التبديل ، بل من الواجب على الناس أن يلتزموا بها ، ولا يفرطوا في شيء منها .

وخص بنو إسرائيل بالذكر مع أن الحكم عام لأنهم أكثر الناس سفكاً للدماء ، وقتلاً للمصلحين ، فقد قتلوا كثيرًا من الأنبياء ، كما قتلوا أكثر المرشدين والناصحين ، ولأن الأسباب التي أدت إلى قتل قابيل لهابيل من أهمها الحسد ، وهو رذيلة معروفة فيهم ، فقد حملهم حسدهم للنبي ﷺ على الكفر به مع أنهم يعرفون صدقة كما يعرفون أبناءهم ، كما حملهم على محاولة قتله ولكن الله - تعالى نجاه من شرورهم .

وما أشبههم في قتلهم للذين يأمرونهم بالخير بقابيل الذي قتل أخاه هابيل؛ لأنه أرشده إلى ما يصلحه . [1]

والكلام عن حرمة النفس الإنسانية عام لا يختص بالمسلم فقط عكس ما زعم وعاظ السوء من استحلال دم ومال غير المسلمين !! فراحوا يقتلون في خلق الله بغير حق وزعموا أن هذا جهاد في سبيل الله ، والله بريء مما يفعلون إنما هو جهاد في سبيل الشيطان ، فالآية الكريمة نصت على عموم النفس الإنسانية ولم تخصص نفس المسلمين .

ويجدر بنا في هذا المقام وقد كثر اللغط في هذا الموضوع ، وكثرت الجرائم التي راح ضحيتها الأبرياء بسبب الفهم الخاطئ لبعض المتفيقهين المتنطعين ، كنت أقول يجدر بنا في هذا المقام أن نوضح من الذي يجب قتاله من أعداء الله والإسلام، ومن يجب صيانة دمائهم ، وأعراضهم ، وأموالهم ؛ فقد أساء كثير من المسلمين فهم هذا

(1) د . محمد سيد طنطاوي " التفسير الوسيط " ص ١٢٤١ .

الأمر وظنوا أن الإسلام حكّم السيف في علاقته بغير المسلمين فإما أن تسلم وإما أن تقطع رقبتك .

أو أن الحرب تكون على كل جنس الأغيار غير مفرقين بين المحارب المقاتل ، والمدني المسالم ، وهذا الفهم المناقض للإسلام بل المناقض لكافة الأديان والقوانين مازال مسيطرا على فهم بعض قساة القلوب خفاف العقول جهَّال الدين والواقع ، وهذا القول لا يقبل من مسلم أيام المد الإسلامي والفتوح فكيف يقبل من مسلم يعيش أيام الانحسار الإسلامي والاحتلال الصليبي والهوان !!

والعجيب أنه في الوقت الذي يعتذر فيه أعداء المسلمين عن أية قتلى أو جرحى من المدنيين أثناء قتالهم للمجاهدين من العرب فإن بعض المسلمين يصرحون بأن الإسلام يبيح قتل المدنيين من غير المسلمين بل وينسبون لأسامة بن لادن – وهو شرف لم يدعيه – قتل المدنيين في برج التجارة العالمي في أحداث ١١ سبتمبر ، ويقومون بمظاهرات تأييد له ، وتعلو الفرحة وجوههم ، ويقولون هذا هو الجهاد الإسلامي .

ويَصِم الغرب الإسلام كله بالإرهاب من جراء أقوال وأفعال هؤلاء المتخلفين " في فلوريدا في اللافتة التي يكتب عليها مواعيد الصلاة في الكنيسة - كتبت العبارة الآتية: (عيسى ينهى عن الاغتيال ، سفر متّى ٢٦ - ٥٢، محمد يأمر بالاغتيال، سورة ٨ -٦٥ " [١]

وتستغل أمريكا الموقف وتشن حربها ضد المسلمين الأبرياء المسالمين بدعوى أنهم إرهابيون ، ويساندها الغرب كله في غزو أفغانستان ، ثم تنفرد بقرار غزو العراق لنزع أسلحة التدمير الشامل من أيدي صدام الطاغية المسلم الإرهابي !

وهكذا فبدلا من نشر دعوة الإسلام الداعية إلى الحب والسلام والتسامح يلصق به بعض المسلمين تهما هو بريء منها تنفر الناس منه ، ويضطر علماء الدين ورجال

[١] الأستاذ سليمان البطحى : أمين عام اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء ﷺ " ندوة البيان " .

السياسة والمخلصون للدفاع عن الإسلام وبيان سماحته علهم يصححون صورة الإسلام فى أذهان غير المسلمين وخاصة الغربيين لكن هيهات فقد تلقفت القوى المعادية للمسلمين الطامحة فى احتلال أراضيه هذه الدعاوى المغرضة ونشرتها واتخذتها ذريعة لحرب المسلمين واحتلال أراضيهم واستغلال مواردهم وخيراتهم وحسبنا الله ونعم الوكيل فى تنطع هؤلاء المسلمين وكيد أولئك الغربيين .

***